

رحلة بالباخرة
إلى شمالي بغداد

جيمس فيلكس جونز آي.أن

ترجمة

عبد الهادي فنجان الساعدي

رحلة بالباخرة إلى شمالي بغداد

رحلة بالباخرة إلى شمال بغداد
تأليف : جيمس فيليكس جونز آي. أن
ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي
القياس: ١٥ × ٢١
عدد الصفحات: ٩٢
الطبعة: الأولى ٢٠١٣ م

طبع الكتاب على نفقة وزارة الثقافة
بمناسبة بغداد عاصمة الثقافة العربية
لعام ٢٠١٣



رقم الإيداع الكتب والوثائق في بغداد
٢٨٧١ لسنة ٢٠١٣

دار ميزوبوتاميا

للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد ـ شارع المتنبي
العراق _ بغداد _ شارع المتنبي
البريد الالكتروني : mazinboox@yahoo.com
Mazin24@ymail.com
موبايل : 07905139941

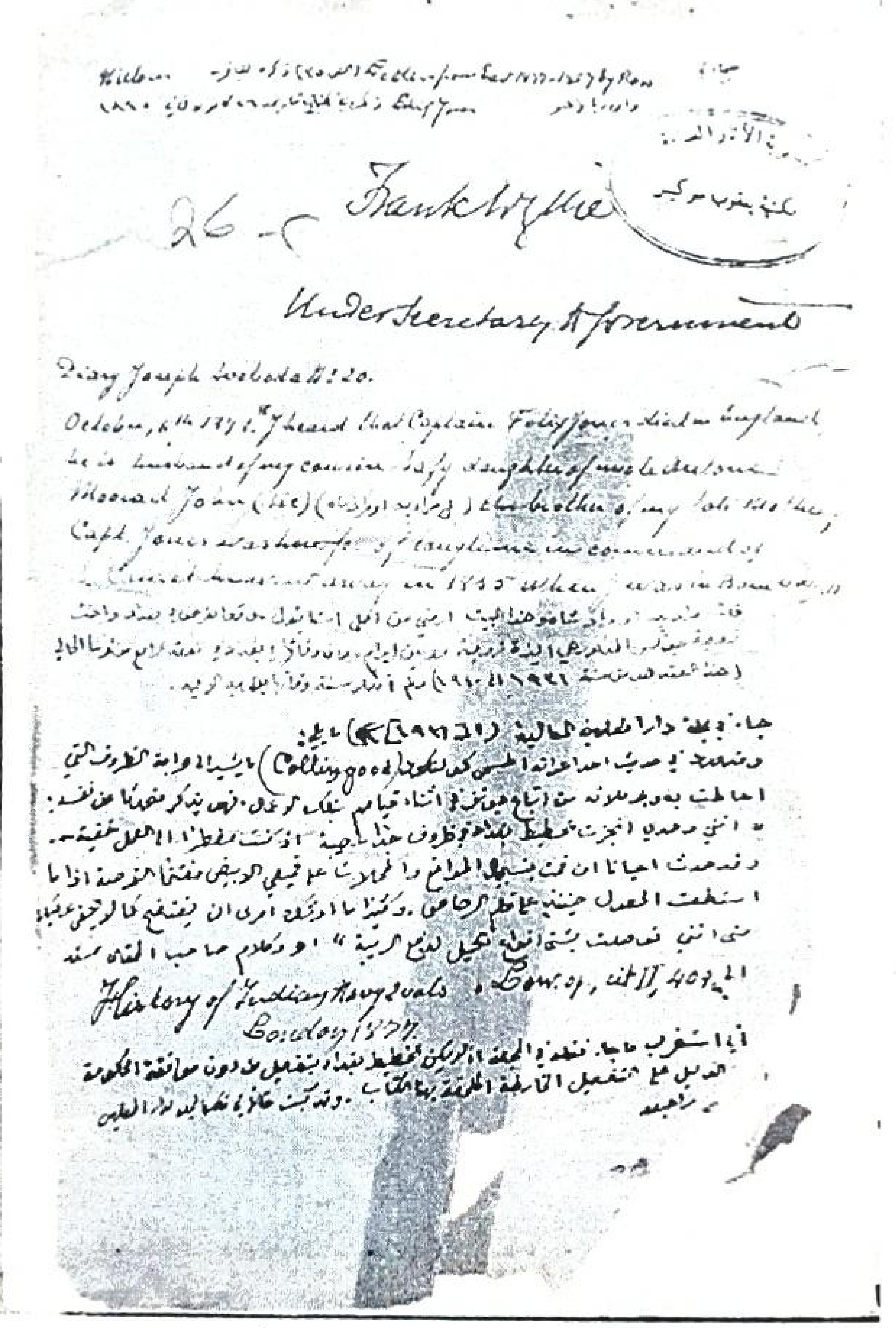
رحلة بالباخرة إلى شمالي بغداد

جيمس فيلكس جونز آي. أن

ترجمة

عبد الهادي فنجان الساعدي

الكتاب الأول



Under Secretary of Government

October, 6th 1871. I heard that Captain Felix Jones died in England

Capt. Jones

جاء في مجلة دار المعلمين العالية

(Collingwood)

History of Indian Navy

London 1877

صورة رقم (1): ملا حظات بالعربية والانكليزية للمؤرخ يعقوب سركيس على نسخة أصلية من كتاب (مذكرات جيمس فيليكس جونز)



SELECTIONS FROM THE RECORDS OF THE BOMBAY GOVERNMENT.

No. XLIII.—NEW SERIES.

MEMOIRS BY COMMANDER JAMES FELIX JONES, I.N.

STEAM-TRIP TO THE NORTH OF BAGHDAD,

IN APRIL 1846;

WITH NOTES ON VARIOUS OBJECTS OF INTEREST EN ROUTE.

JOURNEY FOR THE PURPOSE OF DETERMINING THE

TRACT OF THE ANCIENT NAHRWAN CANAL,

UNDERTAKEN IN APRIL 1848;

WITH A GLANCE AT THE PAST HISTORY OF THE TERRITORY OF THE NAHRWAN.

JOURNEY TO THE FRONTIER OF TURKEY AND PERSIA,

THROUGH A PART OF KURDISTAN.

Researches in the Vicinity of the Median Wall of Xenophon

AND ALONG THE OLD COURSE OF THE RIVER TIGRIS;

AND

DISCOVERY OF THE SITE OF THE ANCIENT OPIS.

MEMOIR ON THE PROVINCE OF BAGHDAD.

NOTES ON THE TOPOGRAPHY OF NINEVEH,

AND THE OTHER CITIES OF ASSYRIA;

AND ON THE

GENERAL GEOGRAPHY OF THE COUNTRY BETWEEN THE TIGRIS AND THE UPPER ZAB;

FOUNDED UPON A TRIGONOMETRICAL SURVEY MADE IN THE YEAR [illegible]

Compiled and Edited by R. Hughes Thomas, Assistant Secretary, Political Department.

Bombay:

PRINTED FOR GOVERNMENT

AT THE

BOMBAY EDUCATION SOCIETY'S PRESS.

1857.

صورة (٢) : الغلاف الداخلي لنسخة نادرة من كتاب

(مذكرات جيمس فيلكس جونز)

يوميات بقلم القائد جيمس فيلكس جونز آي. أن
رحلة بالباخرة إلى شمالي بغداد نيسان ١٨٤٦

مـع ملاحظـات في مختلـف المواضـيع في الطريـق الممتـع جمعـت وحددت من قبل آر. دوس. توماس. السكرتير المساعد، القسم السياسي.

بومباي

طبعت لصالح الحكومة

في

مطبعة بومباي للثقافة الاجتماعية

١٨٥٧

ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي

المراجعة التاريخية: معن حمدان علي

المراجعة اللغوية: علي جبار عطية

يوميات رحلة بالباخرة إلى شمالي بغداد

"انجـزت في نيـسان ١٨٤٦ في البـاخرة الحديديـة "نـايتوكريس..
العائدة ملكيتها إلى المؤسسة التجارية إ. آي. وشركاه"

تأليف
القائد جيمس فيلكس جونز .آي.أن

مع ملاحظات على مختلف المواضيع الممتعة التي لقيها في الطريق

قدمت إلى الحكومة في الخامس من نوفمبر تشرين الثاني ١٨٤٦

خلاصة المحتويات

رحلة بالباخرة - يوميات عن رحلة بالباخرة إلى شمالي بغداد، انجزت في نيسان ١٨٤٦، في الباخرة الحديدية "نايتوكريس" "Nitocris" التابعه لشركة الهند الشرقية الشهيرة، بواسطة قائدها جيمس فيلكس جونز .آي.أن. مع ملاحظات في مختلف المواضيع التي واجهها في الطريق الممتع.

سلمت إلى الحكومة في الخامس من تشرين الثاني "نوفمبر" ١٨٤٦.



مقدمة المترجم

كنت منشغلاً بالتهيئة لترجمة كتاب مس بيل المهـم "Amurath to Amurath" وقد هيأت كل مستلزمات الترجمة فضلا عن انجازي ترجمة مقدمة الكتاب وبعض الفصول الأولية عندما نبهني الأستاذ معن حمدان إلى أهمية كتاب "جيمس فيلكس جونز" الذي كان قد ترجم منـه بعـض المقتطفات من قبل بعـض الكتـاب والمترجـين العـراقيين لأهميتـه. وقـد سحبته من ادراج مكتبة المتحف العراقي فوجدت بان نسختين فقط بقيتا من هذا الكتاب، وهما نسختان وصلتا حد النهايـة في مقاومـة الظـروف الصعبة. عندما رأيت بان عدد صفحاته يفوق الأربعمائـة، لم يـشفع لي في الترجمة الا تنوع مواضيعه حيث انفصل كل موضوع عن الموضوع الـذي يليه مما يسمح بترجمة كل موضوع ككتاب مستقل، وهذا مـا فعلنـاه. امـا التوجه الاساسي للكتاب فهو توجه كتب الرحلات والمستكشفين الا انه يدخل ضمن كتب ادب الاسـتخبارات الـذي ياخـذ منحـى الرحلـة او الاستكشاف او الدراسة التاريخية او الانثروبولوجية، ولكنه اخيرا يصب في مكاتب الاسـتخبارات البريطانيـة وحكومتهـا في الهنـد او انكلـترا او مصر.

الكتاب يُعد جزءً من مجموعة اوراق الحكومة البريطانية في بومباي.

وعلى الرغم من كل ذلك فهو كتاب بكل أجزائه يستحق الجهد الذي يبذل في ترجمته واحياء المعلومات المهمة التي يحتويها هذا الكتاب المتميز بغوره في ادق تفاصيل الحياة العراقية ان لم يكن في هذا الجزء ففي الاجزاء التي ستليه.

"المترجم"

اليوميات

انقضت ثلاث سنوات منذ ان تقدمنا اول مرة في نهر دجلة شمالي بغداد، وقد سبقنا ارتفاع مياه النهر المبكر وكان بالنسبة لنا افضل موسم اذ اصبنا فيه نجاحا جيدا قياسا بالتجارب السابقة، اتخذت الاستعدادات وفقاً لارتفاع النهر المبكر في اذار ١٨٤٦. كان يفترض ان يكون المركب في هذا الوقت في البصرة، تأجل رحيلنا إلى الثاني من (ابريل) نيسان وذلك لكي يصبح النهر في هذا الوقت أكثر سرعة إلى حد بعيد عندما نبدأ من أعلى ارتفاع لبدء الرحلة، تركنا بغداد في آخر النهار مع مؤن لشهر واحد،- احد عشر طناً من الفحم الحجري وتسعه اطنان من وقود الخشب- كان مستوى الماء بالنسبة للمخازن التي على سطح المركب (٣) أقدام و(١٠) انجات في المؤخرة و(٣) اقدام و(٥) انجات في المقدمة.

رفعنا المرساة في الساعة التاسعة وخمس وخمسين دقيقة صباحا مع باخرتين ومررنا خلال جسر البواخر، وصلنا"طرمبه" "Trumba" "المكينة" والكاظمين، الأولى في الساعة العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة والثانية في العاشرة وخمس وخمسين دقيقة.

بدت شواطئ النهر في هذا الوقت بمظهر جميل، وعكست الحدائق

شكل التنوع في الأشجار إذ كانت الألوان ذات خلفية خفيفة مظللة بصبغة زخرفية من الأوراق والأزهار المختلفة، يتخلل العبير المبهج الهواء من أزهار البرتقال المثمرة (القداح)، كان اليوم بارداً وبهيجاً ولكن الرياح كانت شمالية معتدلة تخللت الجو فاعادت الانتشاء الينا. وإلى حد ما اخرت رحلتنا، كان النهر أيضاً يرتفع.

في الساعة الواحدة وخمس واربعين دقيقة وصلنا إلى شري "Sheri" في البوعيثة في الضفة اليمنى، في الثانية وثلاثين دقيقة وصلنا إلى "تل كوش"(١) وهو رابية على الضفة اليمنى يمتد إلى الغرب. ما يقع من هذا البلد إلى الشمال من "تل كوش" بين "خان السويدية" والنهر يعرف عند

---

(١) عدة هضبات وخطوط من القنوات توجد في الجوار، وفقاً لبيلي فريزر، اعتقد مستر اينسورث بانه اكتشف فيهما موقع "The Sitace of Xenophon"، يعتقد الميجر راولنسون-على اية حال- بان ضواحي بغداد الحالية إلى الجانب الغربي من دجلة تقع على قسم من موقع "Sitace"القديم:حقا ان الاكتشافات الحديثة للكتل الكبيرة للبناء الآجري في هذا الموضع، هي التي جعلت من البابليين ينتجون شكل الكتابه المسمارية. في اكتوبر من السنة الماضية عندما انخفض النهر عما يكون عليه مستواه دائما، ظهر ما يشابه المواقع لبعض العواصم الكبيرة جدا، ان مساحة الخرائب الكبيرة وحجم البناء الآجري، الأعماق العظيمة التي وجدت فيها (٢٤ قدماً تحت سطح التربة)، هي المسوغ باعتقادي لاستنتاجات ميجر راولنسون، وفوق كل ذلك فان صورة الكتابة المسمارية فوق كل طبقة متعاقبة من الموقع المبني بالآجر تظهر بجلاء والجهود التي تطلبتها في البناء للمباني التي تؤدي الافتراض الذي جلبت من اجله أصلا من بابل "كل هذه الافتراضات" غير محتملة بشكل كبير.

بعـضهم باسـم الخـان، ولكـن الخـان في بعـض الاوقـات يـصل حـد "الطارمية"، من موقع البحيرة في موضـع جريـان دجلـة القـديم الـذي يدعى "شطيطة" انه الان جاف وهو يأخذ السعة نفسها للنهر الحالي.

الساعة الخامسة بعد الظهر، يمتد خان السويدية إلى الغرب، و تمثـل الجديدة عدة هـضبات معتـبرة، تـرى في جنـوب خـان الـسويدية ومـن المحتمل ان تكون تل "خيِّر" الموجود في خارطـة لـنج، ولكننـي فتـشت عبثا عن النهاية الجنوبية للشطيطة.[1] (أو كـأن تكـون خطـأ في الطبـع في نسخه "آروسميث" لخريطة لنج")، صورت منطقة شـط عيـده " Shat Eidah"، لتتطابق مع النهر الحالي بالقرب من هذا الموقع، لقد أعلمت - على أية حال- بأنها فقدت في الصحراء قرب هذا المكان.

وصلنا إلى "خان الجديدة" في الخامسة وثلاث دقائق ولكننا وجـدنا التيار سريع الانحدار بالقرب منه، واصلنا على نحو مطرَّد لمـدة عـشرين دقيقة وبعد ذلك انزلنا المرساة بالقرب مـن الخـان القـديم الـذي يحمـل الاسم نفسه. كانت شدة التيار في المكان الذي القينـا فيـه المرسـاة هنـاك عقدتان ونصف عـلى مـدار الـساعة ولهـذا، عـلى بعـد عـدة مئـات مـن اليـاردات إلى الأسـفل نـزولا، مـن المحتمـل ان تكـون هنـاك هـضبات

---

(١) من المحتمل ان يكون هذا الاسم كذلك في الوقت الحاضر مصطلحا بالعربيـة ويعنـي "النهر القديم"، او يكون مأخوذا مـن العربيـة المتـأخرة مـن اسـم المدينـة او الموقـع "Sitace"

تضاعف من معدل السرعة هذا. تنتهي البساتين إلى شمالي بغداد على شكل مفاجئ نحو ميلين إلى شمال الكاظمين في الجهة اليمنى، ولكن في اليسار بعد ان تترك "المعظَّم"، تشاهد قرى متفرقة وبساتين نخيل عالية مثل "تل كوش". ارياف "الجديدة" في الوقت الحاضر، تحرث وتزرع بالحنطة بالجهد وبشق الانفس.[1]

في كلا الضفتين يغطي الطين مساحة نحو مئتي إلى ثلاث مئه ياردة اذ يستعمله العامة لأعمال الري واغراض مختلفة في بناء وتغليف الابراج "ملج: المترجم" ويحصلون من هذه الابراج على الحماية لأدوات الزراعة وحفظها من مجموعات السلابة والنهّابة وهذا مما يدل على حماقة الحكومة الحالية وبلاهتها. يقول المثل القديم "السيف بيد والمحراث باليد الأُخرى" تتأكد هنا صحة وموضوعية هذا القول.

تسلمنا هذا المساء دعوة حاكم سامراء الذي استدعي للذهاب إلى بغداد لبعض الأعمال، ولكنه اعطاني بكل لطف رسالة إلى وكيله هناك.

الثالث من "ابريل" نيسان ١٨٤٦: تركنا مرسانا في الساعة الخامسة وثماني وثلاثين دقيقة صباحا وقد ارتفع منسوب مياه النهر خلال الليل ثماني انجات، مع رياح شمالية باردة، الحرارة في الداخل 43°، عبرنا قرى

(١) الأراضي التي تحاذي "الجديدة" هي، "الحويش"، "المنصورية"، "السعدية"، وعدة قرى أُخرى تغتسل بماء دجلة وتروى من التفرعات التي تخرج من "قناة الخالص".

"الحويش" و"المنصورية". الموقع السابق في الساعة السادسة واربعين دقيقة اما الموقع اللاحق فكان في الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة عندما يمتد إلى الشرق في الضفة اليمنى او الغربية "للمنصورية". تغادر قناة "الطارمية" القديمة "دجلة" و تشاهد قناة اكبر تحمل الاسم نفسه ويقال بانها تحمل تاريخا اقدم على بعد ميل ونصف اسفلها، وهي الان تظهر طويلة وجافة لكن القناة التي تقع إلى شمالها في حالة هيجان النهر العالي، مازالت تصلها حصة من نهر دجلة، وتضيع في الأهوار او المستنقعات التي تقع غربي منطقة الكاظمين (اتجاهها بالبوصلة "القمباص"كان يشير إلى ٢٤٤°)، والنهر قرب المنصورية عريض جداً ولكنه يضعف بالجزر البقع النهرية. "الخيوط"[١] او "السور" إلى الشمال قليلا من أعالي "الطارمية" وفيه خرائب خان قديم ينتهي اليه، مررنا في التاسعة واحد عشر دقيقة بقرية "السعدية" وببستان من أشجار النخيل.

---

(١) يمثل هذا صورة"Khali: Siddel Nmrud" او "سور مدين" في البناء. لقد أنشئت للتوجه منها إلى الجنوب الغربي، كما وجهت لتضيع في مستنقعات بالقرب من عكركوف، اعتقد انه من المحتمل جدا ومن المعلومات التي حصلت عليها هناك العديد من الأسوار بنفس المواصفات وكذلك الجدار من الدرجة الأولى حدَّ "مدين" وقد وجد ليحدد هذا القسم من البلد. ان الحد والفاصل ومنطقة خيوط"او الخطوط هنا تستخدم بشكل عام" "أسواراً" أو جدراناً"وبمختلف المواد من ذلك النهر وتتخذ كعلامة للقنوات، "الخالص" على اية حال هو الاطول والأكثر توجهاً من الشمال ولهذا السبب فهو الاهم.

يصبح الريف في كل ميل أكثر ارتفاعا و يبدأ وادي "دجلة" بأخذ شكل متميز، وصلنا إلى قرية "السندية" في الساعة العاشرة وثلاث وثلاثين دقيقة، وتسلمنا وقود الاثني عشرة ساعة، بقينا هنا إلى الظهر لكي نحصل على الملاحظات من مكان القرية الذي يقع على الموضع (٥٢ - ٥٠ _ ٣٣°).

تروى كل الحدائق وبساتين النخيل من "الجديدة" إلى هذا المكان من "قناة الخالص"[١] التي تعد هي و"الدجيل" القناتان المهمتان اللتان يتفاخر بهما العديد من الباشوات العثمانيون "الولاة". صورة محزنه يخلفها التأمل في البقايا من الأعمال النبيلة من النوع نفسه تتبعثر في الجوار مهملة ومهجورة، تظهر من خلال نظرة سريعة دون الحاجة إلى الاستعانه بالتاريخ عندما كانت تعم حالة الازدهار هذا البلد الأصيل.

تركنا "السندية" في الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق بعد الظهر وفي الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة رصدنا او راقبنا المسير لكي يكون في درجة ١٣٧°، في هذه النقطة تكون المنحدرات المائية مشكلة

---

(١) هذه القناة هي فرع من نهر "ديالى" الذي ينبع من سلسلة "جبال حمرين"، انه يسعى نحو الجنوب الغربي متقدما مسافة قصيرة شمالا ثم موازيا إلى "نهر ديالى"، تقع عدة قرى على ضفافه، و تسقى مختلف أشجار النخيل الجميلة منه خلال جريانه إلى "دجلة"، وتكون فترة غزارة مائه بعد فصل شتاء قاس فقط، في اوقات أُخرى ينصرف إلى ري "الريف" حول "السندية" و"المنصورية" و"الحويش" و"الجديدة".

"وادي دجلة" المتاخم للضفة اليسرى من النهر، والقناة الكبيرة "النهروان"تشاهد اعلاها على بعد حوالي ميل واحد ونصف، متجهة إلى الجنوب الشرقي، يجري النهر من هذه النقطة باتجاه الغرب بشكل أكثر، وفي الساعة الثالثة وعشر دقائق عبرنا بعض المنحدرات العالية (من المفترض ان يكون ٥٠ قدماً)، في الذروة التي يرصد فيها قسم من "النهروان" يقتطع بتيار قوى متدفق يتخطى ويشق مجازاً في التربة التي تقف بوجهه.

تشكل المنحدرات الضفة اليمنى للنهر وتمتد من هذه النقطة إلى خمسة أميال. على طول منطقة الحاوي "Hawi"[1] يقذف الغرين على مسافة مئة ياردة على الضفة اليسرى، هذا الفضاء فقط الآن محتل من قبل النهر. يبعد ضريح الامام سيد محمد من هذه النقطة وهذا ايضا الاتجاه العام للنهر إلى مصب "نهر العظيم". يعرف "النهروان" ايضا هنا باسم "الدوجم" "El Dojm".

في الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة رسونا على فرع صغير من "العظيم" لنرصد ماحصل.[2]

---

(١) الطمي او الغرين، الذي يترسب في "وادي دجلة" مثلا يكون شكل الوادي.

(٢) يكون "الغربي" او "المصب الكبير" "النهر العظيم" "٩ ٧"غرب "بغداد" وبموجب هذا الرصد، يمكن متابعه سلسلة جبال في "ساكيرمه" "Seghirmeh" من جبال الكورد. "خاصة سو" "Kisseh su"في كركوك، النهر في بركة، و يوحد "سفيد

رود" "Sefid Rud" ماءه في حوالي مسقط الدرجة " ٣٤ - ٤٠" شمال وفي دائرة خط الزوال لبغداد. من هناك يبدأ اسم "العظيم"، انه يواصل طريقاً يتجه قليلا إلى الجنوب الغربي خلال سلسلة "جبال حمرين"، واخيراً يصب في دجلة عند النقطة "30 - 00 – 34" عندها ينزلق "العظيم" خلال "حمرين"، هناك بقايا "Sidd" سد قوي وهو يحتفظ ببقاءه كشاهد على العصور القديمة العظيمة.

شكل السد كسد طبيعي بوجه النهر، ويحوله إلى قناتين قديمتين تسمى الأولى "نهر بات" "Nahr Batt" إلى الشمال و"نهر باثان" "Nahr Bathan" إلى الجنوب، هاتان القناتان ترويان الأراضي الواقعة بين "حمرين" و"النهروان"، وتساهمان بازدياد المواد التي ترفع من مستوى المياه أخيراً. هناك شك قليل بان "العظيم" هو "Physcus of Xenophon" ولكن نقطة التقائه مع "دجلة" في لمام علم الاغريق المكتسب يجب ان تقصد هذا، واعتقد بانها تقع الى الجنوب من هذا الالتقاء للنهرين بخط يقود الى الجنوب وقليلاً الى الغرب من دلتا "العظيم" الى مكان امتداد "الشطيطة". في كل الاحتمالات ليس هناك نقطة واحدة للموقع الذي يشكل نقطة الالتقاء مع "دجلة". ولكن من المحتمل ان يكون قد مر فوقها أو قريباً من خرائب منتشرة ومن الممكن ان تعتبر على شكل آثار لتطابقها مع "آلهات الحصاد المفقودات".

["Physcus of Xenophon" = 355BC : مؤرخ اغريقي واديب، عندما كان شابا، من تابعي السقراطية، عندما الغي النظام الديمقراطي بعد هزيمة اثينا في حرب بيلوبونيس وثبت العداء للمجموعة السقراطية، اشترك زينوفون بحملة كورش الأصغر، الذي ذهب قاصدا انتزاع عرش الفرس من اخيه "آرتحشستا الثاني"بعد قتل كورش في معركة "كوناكسا" "٤٠١"، قاد "زينوفرن" جيشه المؤلف من "١٠٠٠٠"جندي اغريقي من المرتزقة وعاد بهم عن طريق جبال ارمينيا إلى البحر سالمين. ان الاستثارة التي حدثت في الانسحاب العسكري ووصف المسيرة هي أحسن ما عرفت به كتابات "زينوفون". تضمنت أعماله الأخرى "الهلينيات"

يكون الفرع الغربي اكبر، ويبعد نحو ميلين من هذا الفرع انه الآن يظهر كنهر معتبر ولكن عندما مررت به في آذار ١٨٤٣ استحق مني ملاحظة صغيرة، و أثبتت الأمطار الثقيلة في هذا الشتاء من كل مكان يسكنه "الباشاوات" "الولاة" "Pachalic" أهميته التي زادت في هذا الموسم بعد المرور "بالعظيم"، يصبح النهر أكثر تموجا ويستطيل ليصل إلى الجنوب الغربي ويقودك إلى افتتاح رقعة مترامية الأطراف والتي أخبروني عنها بانها هي مصب "الشطيطة" ويفترض ان تكون مجرى النهر القديم لدجلة،[1] (انظر الملاحظة في صفحة ٤):

الإغريقية، واستمرار ما هو اقل شانا لتاريخ "الثوسايديداس"، سميت عدة مواضيع دراسات او بحوث "السقراطيات" وهي اشياء أُخرى عادية عن الحكمة والعقل والسمو والمعلم الورع التي قدمت من قبل "أفلاطون"، كبحوث ودراسات على مواضيع مثل الصيد، الفروسية، والدخل العام، ووصف تمهيدي لدستور "سبارطه"، وأطول أعماله هي" السيروبيديا" "تربية كورش الأكبر" وهي الحالة الجنينية للرومانتيكية، انه وصف خيالي لصورة القانون المؤثر لكتب المجاملة، وهكذا سميت "كتب الأميرات" في عصر النهضة، قاتل زينوفون في عده حروب في خدمة "سبارطه" ضد "الفرس" وفي سنة ٣٩٤ قبل الميلاد ضد أثينا التي عاقبته. عاش أخيراً بهدوء بالقرب من اولمبيا لمدة عشرين عاما ثم رجع إلى كورنثيا حيث توفي/ راجع ص٥٢٧ من - ENCYCLOPEDIA INTERNATIONAL 19 Grolier INCORPORATED- NEW YORK (المترجم)]

(١) حاشيه من "د.روس" و"الكابتن لنج" اشرا مكان مصب النهر الشمالي لمجرى "دجلة" القديم ابعد بحوالي عشرين ميلا إلى الامام غربا، ولكن اؤكد من مصدر

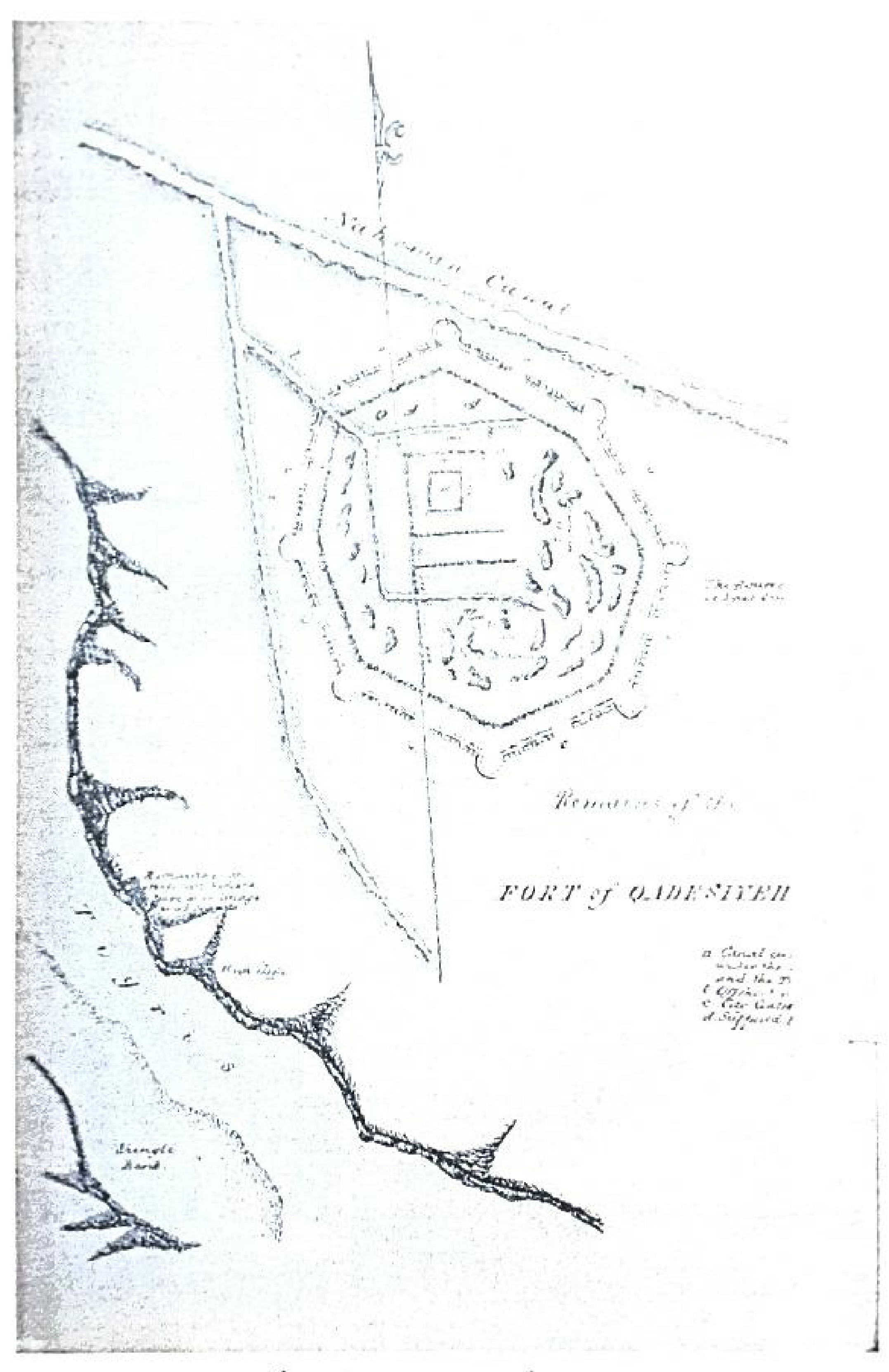
مررنا بهذا المكان في الساعة السادسة والربع ووقفنا إلى الأمام في خان الثولايه "Tholiyeh"[1] "الثويمية" في الاتجاه الشمالي ورسونا لفترة الليل في الساعة السادسة واثنين وثلاثين دقيقة بالقرب من جزرتين تشطران النهر هنا.

جيد جدا بان النقطة الحقيقية هي التي أشَّرتها انا.

ومن المحتمل على اية حال ان يكون الفرع ابعد قليلا إلى الغرب، وهذا الامر يتوقف على المصادفه بان نختلف مع اثنين من الرحالة اليقظين شديدي الانتباه كهذين اللذين استشهدت بهما، ولكن طبيعة الأرض تغيرت من صخور رملية قوية إلى غرينيه في هذه المنطقة المجاورة.

انه من الطبيعي ان نستنتج بان نهراً عميقاً وسريعا مثل "دجلة" سيختار اولا التربة اللينه التي ستصادفه بمجراه لينقل المياه المحبوسه إلى البحر.

(١) خان في الطريق إلى سامراء من بغداد "الثويمية"



صورة رقم (3): حصن القادسية

تبدلت التربة الرسوبية الآن إلى ضفاف مليئة بالحصى المصفوف على شكل متراكب أو متداخل أحياناً يكون قد مزج مع كتل مختلطة من أجزاء مختلفة الأنواع أو مجمعه من مصادر مختلفة، لكن المنحدرات العالية بقيت تبدي الطين ممزوجا مع عدة طبقات من الرمل، وفي بعض الأماكن ممزوجا مع الطين الأحمر، تشاهد طبقات الملح بالقرب من الحافة الحالية للنهر، في الحين الذي أزهرت فيه نباتات الطرفاء، بينما الضفاف والمنحدرات الأُخرى جرداء وقد تآكلت بشكل كبير، ليس فقط بسبب دجلة بل بسبب السيول المتنوعة التي وجدت طريقها من المرتفعات العالية واستمرت إلى سلسلة جبال "حمرين".

تتشكل الحاويات او الطين المترسب في وادي "دجلة" الآن مكونة مساحات من الأراضي الجاهزة للحراثة، تسود هذه الأراضي منطقة على مد النظر تمتد على خط الطول وخط العرض، أخيراً نستنتج من ذروة الأفق لقلب العقرب "Antares" فنجد بان النتيجة هي (٣٤° – ٠٠° – ١٩N)

شروق الشمس، الرابع من نيسان ١٨٤٦ . من خلال رصد البيانات الإدارية، اظهرت الحقيقة بان خان الثولاية كان على الخط (N –) (75^{W} – 00°، في الوقت نفسه تبع ذلك ان الزوايا اليمنى واليسرى لها وكانت تؤخذ بآله السدس او السدسيه[1]، يمين زاوية الهضبة العالية

(١) آله لقياس ارتفاع الاجرام السماوية من سفينه او طائرة متحركة: المورد.

"Dalahu"في سلسلة جبال "زاكروس" العظيمة:(١٤ ـ ٢٥ ْ) يسار زاوية الخان، "المنارة" في قرية "بلد" على "الدجيل"، (٨٧ْ – ٣٢°) "الملوية" او "البرج اللولبي" فوق "سامراء"، (٥٣ْ – ١٦°) ضريح الإمامين "علي الهادي والحسن العسكري في "سامراء" (٥٥ – ٥٤ْ) و"خان المزرقجي" (٦٣ْ – ٢١) و"الإمام السيد محمد" يقابل " ٤٣ْ - ٣٤" زاوية يسار مدينة "بلد" ومنارة قرية "سميجه" "Sumei chah" (٥٢ْ – ٩) يسار "السيد محمد" من هذه المحطة[1] مصب النهر لمجرى دجلة القديم. او "الشطيطه"، يسلك جنوبا من جهة الشرق على بعد ميل ونصف والذي جعل من نقطة الوصول او الالتقاء إلى الجنوب من "خان الثولايه" على خط العرض (٣٣ْ – ٥٩) تقريباً وبناء على ذلك اذا كان خط العرض الذي استنتجته صحيحا "ولايوجد لدي سبب للشك" فالوصف لهذا القسم من النهر في خارطة "لنج"نادرا مايجعله بعيدا بشكل كاف إلى الجنوب، انه من الصعب –على ايه حال–ان نتكلم بشكل مؤكد كما في الخارطة التي في حيازتي والتي يكون فيها مقياس الرسم صغيرا جدا، اذ استخرجت من قبل "آروسميث"من اصل "لنج" ذي البعد الذي يكون بدرجة عشرين انجاً.

تكون محطات الكابتن لنج الثابتة مصممة بشكل دقيق جدا. ارتفع

---

(١) للرصد "لخطوط الطول" لمكان الجوزاء هذه المحطة تقع (١١ – ١٦) غربي بغداد وبالنسبة لخان الثولايه يتجه شمالا، انه يقع كذلك على خط الطول نفسه.

ماء النهر خلال الليل ثمانية انجات، تكون الضفاف احيانا مليئة ومرتفعه حد الانفجار. "يقرأ" الثيرموميتر "ميزان الحرارة" "٤٢°" في وسط النهار.

تركنا مرسانا في الساعة السادسة وتسع دقائق قبل الظهر وعبرنا إلى "الحاوي" "Hawi" في الضفة اليسرى وقد تسلمنا بعض الوقود. أكملنا الطريق في الساعة التاسعة وخمس عشرة دقيقة، وتابعنا السير إلى الأمام باتجاه الشمال إلى "خان الثولايه". أشير هنا إلى سمة الضراوة في الإنسان العربي والشخصية العامة. بعض "الجبور" ساعدونا في حمل الوقود وأنا أهديتهم بعض خراطيش الرصاص في العودة. نادرا ما يصلون إلى حد ان يقال عنهم فريق وخصوصا من نالوا الهدية، فهم كلهم يتدافعون بشكل عام وصاخب، وجد الشخص الذي عهدت بهم إليه، من الصعوبة ان يميز أولئك الذين استحقوا الخراطيش، لقد ألقاها أرضا، ومثل هذا المشهد من الممكن ان ينقل من قبل أي رحالة سيء الحظ وهو يقع بين مثل هذه الأيدي، وبالتأكيد فان ملابسه وكسوته او أي شيء يمتلكه ويمكن التنافس عليه سوف تكون موضع هذه المنافسة، كانت السيوف مستله، والعصي ذات الأبعاد غير الاعتيادية تصفر في الهواء، وعندما تركنا الاهتياج ظهر وكأنه سيدوم هذا اليوم تمامه.

أصبح النهر الآن أكثر سرعة بسبب زيادة الانحدار في مصب النهر كثير الحصى، وبمجرد ان اقتربنا من المناطق المجاورة لخان "الثولاية"،

أبطأت رحلتنا بشكل تناسبي. في الساعة التاسعة وخمسين دقيقة امتد الخان إلى الشمال الشرقي حوالي ميل ونصف، ومن هنا بدا النهر يتابع المسير باتجاه الغرب إلى خان "المزرقجي" ومن هنا إلى القائم " El Ghaim" [1] وقليلا إلى جهة الشمال وفي الظهيرة "بلد" التي تقع على "الدجيل" وتمتد ٢١٨°، "خان الثولايه" ٨٩°.

في الواحدة كان الضريح الذي يقع في الجزء الأساسي من "النهروان" يدعى "الامام سيد حسين"، يمتد إلى الشمال ويبعد نحو ميل ونصف الميل، وهناك فرع صغير من "النهروان" يدعى "سد العزيز" "Sid el Azeez"[2].

في وقت سابق كانت "بلد تقع" على بعد "٩١٦°" و "الثولايه" "٩٩°" "خان المزرقجي" هو مكان للحجاج او الرحالة في الطريق إلى شمال سامراء، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر شمال شرق، هذه هي اقرب نقطة إلى "سد نمرود" "Khali sid Nimrud"[3].

---

(١) إلى حد بعيد القائم "Elkaim" ولكنها تلفظ كما كتبتها انا.

(٢) هذا هو الفرع الجنوبي او جدول النهروان، انه الآن أكثر ضعفا بسبب انتهاكات النهر، لقد تتبعت كل النهايات غير الصحيحة، التي تشكل فرع القائم فوجدته الفرع الجنوبي.

(٣) في العراق "بلاد مابين النهرين" الاسم أطلق على هضبة او تراكمات ترابية وهي التي افترضت بأنها الموقع لمدينة آشورية قديمة على الضفة الشرقية لنهر "دجلة" في منطقة التقاء "دجلة" مع "الزاب الكبير"، وتبعد ٢٠ ميلا جنوب "الموصل"، وقد افترضت

أو سور "مديَن"، كنت قد زرتها في سنة ١٨٤٣ وكان مظهرها حسنا وموصوفا من "كابتن لنج" و "د.روس" في مجلات الجمعية الجغرافية الملكية وما احتاج اليه هو مجرد إشارة إلى ذلك الموضوع أو المكان.

في الساعة الخامسة وخمس واربعين دقيقة رسونا للمبيت بالضبط في بقعة مشابهه للتي بتنا فيها الليلة قبل ثلاث سنوات مضت، لم اكن آسفاً عندما انخفضت اشعة الشمس واجبرتنا على التوقف لأنني شعرت بالتعب الشديد، وذلك لانني كنت واقفا على رجلي طول اليوم، حقا ليس غير المثابرة العظيمة والانتباه إلى اتجاه مركب النهر خلال مثل هذه الملاحة المعقدة كما نعيشها هذا اليوم، وهو الذي مكننا من ان نحصل فيها على أي تقدم يذكر. من خان "الثولايه" تغير القعر إلى قعر كثير الحصى بشكل كبير فضلا عن تدفق التيار وسرعته، وبالتجربة يجب ان تكون السرعة بمعدل ستة ونصف اميال جغرافية في الساعة، ان قاع النهر مليء بمختلف الجزر والحصى المسطح، وكما هو في هذا الفصل من

بأنها مدينة "صالح" "Calah" التي ذكرت في سفر التكوين "١٢و١١و١٠" وهي ضاحية "لنينوى"، وقد أظهرت الحفريات الآثارية لمدينة تبعد نحو خمسة اميال في الواقع ومحاطة بسور يحيط بها مزود بالأبراج. من المهم جدا من الناحية الآثارية هو اكتشاف الكنز الآثاري وهو المسلة السوداء "لشليمنصر الثاني"، وهي الان في المتحف البريطاني:لاحظ ص٣٥٦ منThe ENC. AME.Vol.20 "المترجم".

السنة ولكن هناك قناة واحدة بعمق كاف وهي التي تستوعب كل ماء النهر وفي بعض الحالات تكون ضيقة وتمتلئ بماء النهر المنحدر.

لاتقف بعض الأشياء بوجه الريح الجنوبية الشرقية والتي مكنتنا من الإبحار. لقد تغلبنا على المصاعب بشق الأنفس. - في الحقيقة- شُلَّت حركة المكائن وتوقفت عن العمل في ذروة الانحدار وكان الدوران قد نقص من ٢٩ دورة إلى ٢٣ دورة، قد اعزو هذا إلى وزن المركب في صعوده والعمل بالضد من القوة الدافعة للمجاذيف. في الحقيقة، قطر العجلات الصغير ليس معدا للرفع كما لدفع المركب إلى الأعلى بمستوى مائل.

كان الريف الذي مررنا خلاله اليوم جميلا إلى اقصى حد، و تشكل الهضاب المتموجة وادي "دجلة"، والان ظهرت بأثوابها الربيعية، تمازج العشب المتموج مع الزهور من كل لون وخلق مناظر طبيعية غنية لم تألفها العين ولم ترها في السهول الغرينية التي قبلها. تتركب المنحدرات العمودية من كتل مختلطة تضطجع بشكل اجرد نتيجة جرف الماء "حك النهر لها".

تبدو المنطقة وكأنها ستسقط لتدمر المراكب ولكن لحسن الحظ فهي متغايرة مع قممها المكسوة.

تنشأ حاويات الغرين من مختلف المواضع لوادي "دجلة" وتزرع

بشكل واسع من قبل "عرب الجبور" في الشرق و"عشائر المجمع" "Majamma" في الغرب. حصلنا على بقيه المعلومات في أمور القيادة والتحويل والزوايا من خلال أعلى الصاري عندما رسونا، الاتجاه الحقيقي للملوية بالقرب من سامراء 328 القائم[1] في راس الفرع الجنوبي "للنهروان" (١٩°) إلى يسار الملوية: ضريح الائمة في "سامراء" (٢٠ ـ٣٠°) يساراً، "خان المزرقجي" إلى اليمين "٤٠W - ١١٠°" المموول لحصن "القادسية" القديم الذي يقع يسارا " ٣٢ - ١٥°".

بعد شروق الشمس بقليل سكتت الريح الجنوبية وتلتها أمطار ثقيلة مع رعد وبرق، ولكن قبل بزوغ الصباح عادت السماء ثانية وأصبحت صافية.

عند شروق الشمس في الخامسة صباحا استأنفنا طريقنا، وكنا نكافح ضد تيار النهر القوي لست عقد في الساعة، وبشكل عرضي أيضاً المنحدرات الهزيلة في القنالات الضيقة. وصل وقودنا إلى "القادسية" في الساعة السابعة وثماني وأربعين دقيقة.

في أثناء تسلمنا للخشب زرت خرائب القلعة القديمة ومدينة "القادسية"[2] التي تقع على بعد نحو ميل واحد من النهر، لم أكن معتاداً

(١) انظر الملاحظة الأخيرة في الصفحة السابقة، هذه التسمية غير صحيحة للفرع الجنوبي، وبدلاً عن ذلك يرجع إلى صفحة-٧ من الأصل.

(٢) انظر ملحق التصميم التقريبي (بين ص٨- ٩ من الأصل)

السير بهذه الكيفية في هذا الطريق. هذا الريف ببساطة مغطى بالحشائش البرية من كل نوع من الممكن ان يوصف من أزهار الأشجار المثمرة وزهور من كل درجة من درجات الألوان وظلالها ومن كل الأنواع حيث سحقت تحت أقدامنا، والهواء الحقيقي كان مشبعا برائحة هذه النباتات.

كانت القلعة على شكل ثماني من أبراج مستديرة في كل زاوية وبينها ست عشرة دعامة وهي أجزاء ناتئة من الحصن جعلت كمواضع [1] تبعد أحداهما عن الأُخرى سبع وثلاثون خطوة، يوجد ممر في وسط كل جانب، وبلا شك، فهو يتسع لبوابات القلعة، ولكن لم يبق من الأبواب أي اثر. كان سمك الجدار بنظام المقاييس أصلا خمسين قدماً، وفي الوقت الحاضر يكون العلو خمسة وعشرين قدما، وجهه الداخلي لابد ان يكون قد اشتمل على نطاق داخلي مؤلف من الحجرات او الفجوات المعقودة واحدة منها مازالت في الداخل وتعطي نموذجا لكل البناء. لقد بنيت بالآجر المأخوذ من الطين المجفف بالشمس، ثمانية عشر انجاً مربعاً

(١) يصف "فريزر" في كتابه "بلاد النهرين وآشور" الابعاد كما يلي ١٠-١٢ياردة- كيفما يكون وقوعه في هذا الخطأ، انا متردد في تخيل ذلك اذا كانت ابعاده صحيحه فان محيط الجدران لهذه القلعة الكبيرة ستكون في ارقام مستديرة، لكن كيف كان ١٤٠٠ ياردة، في الحين الذي يكون القياس الحقيقي لنظام المقاييس بالخطوات، لقد جعلت القطر لوحدة (١٥٠٠) ياردة ومحيطه لهذا السبب باعتباره ثماني سيكون تقريبا ٤٥٠٠ ياردة او أكثر من اثنين ونصف ميل انكليزي.

والسمك خمسة انجات "هي أبعاد الطابوقة" لا يوجد بناء في الوقت الحاضر في هذه البقعة، ولكن في اثناء البحث وعلى مسافة خلال المنطقة التي في المدخل، في الجانب الغربي اكتشفت اثار الجدار والتي تمتد من جنوبي الاسوار الواقية في خط مطابق للشمال، بـ" ١٢٤٠" خطوة، يكون خط الجدار هذا في ابعاده "سبع مئه وسبع مئه وتسعين"خطوة، وفي نهايته هناك جدران أُخرى تتصل به وتمتد منه في الزوايا التي إلى اليمين او إلى الشرق ٤٥٠ خطوة وعندما تتوقف فجأة لاتجد اثراً ابعد منها. يمتد سياج مستطيل كامل، يتألف من ٢٥٠ خطوة من الشمال إلى الجنوب، وعرضه مئه خطوة يحتل الفضاء بين الخطين الشماليين، يظهر سور عال من الطين وهو يحيط بالمدينة، تاركا فضاء بينه وبين الدفاعات الخارجية سعته ٧٠ قدماً.

تشاهد القناة العظيمة "للنهروان" ممتدة بعيداً إلى الشرق، وتمر على خط ٢٠٠ ياردة إلى الشمال الشرقي، من جهة القلعة، قناة او مجاز مائي من "النهروان" حوالي ميل واحد شمال غرب المدينة يغذي بالماء المنطقة المحصورة بينه وبين "دجلة"، ويجري على طول إلى الوجه الغربي للقلعة، خلال القسم الذي يقع في الجنوب والجنوب الشرقي. وباتجاه قصير مباشر سيرتبط "بالنهروان" يمر هذا الفرع بالقلعة من جهة شمالها الغربي، ويسير باتجاه الجنوب الغربي مباشرة إلى جهة سور المدينة، وعندما يتفرع إلى شعبتين، يمر فرع منها على طول الوجه الشمالي

للمدينة، في الحين الذي يتوجه الآخر سائراً بشكل متواز مع السور الغربي لمسافة ٦٤٠ خطوة، وفجأة يستدير إلى الشرق، من خلال فتحة فيه بعد تجهيزه للمدينة بالماء/ انا افترض ان كلا من هذين الفرعين والفرع الشمالي يستعملان للري.

انه من المحتمل-حقا- بان كل الفضاءات بين جدران المدينة والدفاعات الخارجية تحوي بينها حدائق ولكن ليس هناك أي هضاب من أي حجم او أي اثر باق منها من الممكن ان نلتقي به ومن الممكن ان يقودنا للاستنتاج او الاستيضاح عن المباني وبأية أهمية مازالت تحتفظ بها هنا.

من جهة الجنوب الغربي لجهة "القادسية"[1] رصدنا الاتجاهات

---

(١) "القادسية" تكون (٢٧ ـ ٢٦) غرب "بغداد"، اقتبس من "المستر لنج" في دراسته "كوردستان ونينوى" "Gibbon"، غيبون تصوراته بان هذه هي "العاصمة الآشورية للقادسية". ولكن "الكولونيل تايلور" عميق التفكير كعالم عربي، يعتقد بان الموقع هو لمدينة عربية ممعنه في القدم، إدّعى مستر "فريزر" في اشارته لها في كتابه "بلاد مابين النهرين والآشوريين" "ادعاءات خاطئه بانها مسبعة، أي شكلها سباعي الاضلاع والزوايا بدلا من مثمن أي ثمانية الزوايا والاضلاع وقد حدد مكانها بشكل غير قابل للتعليل في الجانب الغربي من دجلة في الحين الذي تقع فيه في الضفه الشرقية، انا افترض بانه يخلط بين مكانين عندما يقول بان "الاصطبلات" "Itabolat" التي في الضفه الغربية مع "القادسية"، ولهذا فقد كان وصفه بالتاكيد له صلات تتعلق بالثاني: انظر عمله ص١٥٩.

وسطوح الارتكاز الآتية: "برج الملوية" (٣٢٨ْ)، "خان المزرقجي" (٩٧ْ)، "برج القائم" (٣٠٧ْ) خرائب (Istabolat) "الاصطبلات" ومصب "قناة الدجيل" (٢٦٧ْ)ليس هناك من شك بانني تصورت بان هذه المدينة كانت واحدة من المدن المهمة خلال فترة ازدهار "النهروان" ومن المحتمل ان تكون مدينة له بافولها وهجرتها التالية إلى تلك القناة الواسعة والتي انحدرت نحو الاضمحلال. سور مستطيل صغير يدعى "السنام"، وجد كذلك فوق قمة المنحدرات والان يغتسل بماء "دجلة"، ولكن نصفه باق كاثار، جرف النهر البقية بعيداً، تكون الجدران-على اية حال- على وجه المنحدرات قد ظهرت بشكل واضح ولاتشبه "القادسية" نفسها، وقد بنيت بالآجر الجميل المجفف في الافران، ولكنه لايحمل أي تفاصيل او رموز مميزة، ان القسم الاسفل من النصب "الذي من اجل ذلك اخذ اسمه"هو من الحجر الاسود وهو مشابه لتلك التماثيل او الانصاب المصرية وجد هنا قبل بضع سنوات مضت، وهو الان في حيازة "د.روس: والقادسية في اخر الارصاد الماخوذة من خلال حركة الشمس تقع في الخطوط (٤ ـ ٣٨ ـ ٤٣ْ).

تشكل الأرض المرتفعة الوادي الغربي "لدجلة"، ومباشرة يواجه اويوافي غرب "القادسية"، وهناك بقايا او اثار ساحة مدينة مع بعض البقايا تواجهك، انها تدعى "Istabolat" "اصطبلات".

من الممكن ان تكون الشوارع والمباني قد شكلت او رصفت

بكميات وافرة من ركام الآجر للجدران وهي بحالة جيدة تسير بشكل موازٍ للزوايا على الجهة اليمنى لكل منهما. يحيط بالجدران المدمرة من الآجر المجفف في الأفران خندق او قناة. ليس لدى الوقت الكافي لزيارة هذا الموضع الممتع، ولكن الملاحظة هنا جاءت من الذاكرة والتي استقيتها من فحص سابق عام ١٨٤٣.

تترك "قناة الدجيل"[١] "دجلة" منغلقاً إلى هنا. يكون القسم الشمالي والقسم القديم الان جافاً تماما. هذه القناة تواصل الطريق باتجاه الجنوب الشرقي، وتمر بنهاية "سور مدين"، قرى "حربى"و"سميجه"، و تضيع حديثا بالقرب من ماء "الطارمية"، يُعد القطر الآن أكثر نشاطا.

للحصول على ارصاد الصباح استمر منهاجنا لحين الساعة الثانية عشرة والربع مرورا برأس "الدجيل" و"الاصطبلات"، وفي الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة كنا في القائم، [٢]يقع برج رباعي الزوايا في حالة متينة على رأس الفرع الجنوبي للنهروان، بالتأكيد فان هذه القناة الفخمة لها فرعين كبيرين تستلم منهما الماء الذي تتجهز به، وهناك قنوات من الممكن تخيلها وهي اصغر من هاتين القناتين، تدعى نهر هافو"Nahr Hafu"يأخذ مصدره من محاذاة سلسلة جبال "حمرين" في

---

(١) "الدجيل" و"الخالص" هما القناتان المهمتان اللتان مازالتا تحتفظان بمصبهما في بغداد وهذا المظهر المؤسف على الضد من النماذج المختلفة في العصور القديمة.

(٢) انظر الملاحظات ص٧ في الأصل

جريان "دجلة" الهائج المتجهم ويدعى هنا "الثالث".

"نهر هافو" "Nahr Hafu" –على اية حال–اصغر كثيراً من الفرعين الاخرين، انه يشترك بمركز واحد قرب "قنطرة الرصاص".[(١)]

ومن اجل ذلك فان هذا الفرع الرئيسي يسلك الاتجاه الجنوبي الشرقي ويلتقي بالفرع الذي ياتي من "نهر القائم" والذي يتفايض بالاتجاه الشرقي أكثر وأعلى قليلا من منطقة الارتباط "بالعظيم" مع "دجلة" ومن هذا الموضع اصبحا نهرا متحداً واحدا ويعتبر أكثر ارتفاعا من المناطق المحيطة به ويسلك طريقا لايعوقه شئ إلى الجنوب الشرقي فوق "العظيم"، "ديالى" ومجرى "نهر دجلة" الحالي، وقد عمل فيما مضى على تخصيب سهول "العراق" الهائلة بواسطة عدة تشعبات إلى جيرانه على "الخليج الفارسي" و"الفتحة"[(٢)] إلى جنوب "القائم"، وقد سمعت

---

(١) قناة هافو: تتحول هذه القناة العملاقة على طول مسارها إلى الاضمحلال والتلاشي، انها من الممكن ان تتشكل لثلاثمائه ميل، وأشكال خرائب المدن تلتقي مع حافاتها، وتشهد على ازدهار حالة العراق خلال كينونته–مستنقعات واسعة وبحيرات منتشرة على الأرجح في الاصل تكونت بسبب انحراف النهر، تحيطه من كل جانب، وهذا التحول جعل من هذه الأراضي بيئه خصبه وقد تحولت إلى منخفضات ساخنة وحاضنه للملاريا والحمى. و يستعمل قاع النهر الجاف الان كطريق مرتفع من قبل الرحالة والقوافل، ومن اجل حماية المنتوجات في فترة تراجع التآكلات في ضفافه من أي نوع من الجماعات التي من المحتمل ان تبحث عن عمليات السلب والنهب.

(٢) سد العزيز انظر الملاحظة ص٧ في الاصل

بانهم قد اخذوا قناة من هذا العمل الفخم.

في نيسان ١٨٤٣ زرت المنطقة وقد اشرت عليها كرابط بين فرعين كبيرين في منطقة اثار "السد" "Sidd"او "النطاق" ما تزال باقية. يجب ان تكون المدينة باقية في الموقع فيما مضى وبالنسبة للأرض فقد كانت تشيع فيها بقايا الأبنية، الزجاج، الآنية الفخارية.

شكلت "Opis"[(١)] "مدينة أوبس" من بعضهم لتشغل هذا الموضع-ولكنني اعتقد بصعوبة بان مثل هذه المدينة الغنية لاتترك من الآثار لوجودها أكثر من خرائب تافهه تراها في الوقت الحاضر.

سيعود النهر من "القائم" إلى "سامراء" ليكون صعبا جداً. يكون السقوط او المستوى المائل للسطح الانسيابي للنهر ظاهرا بوضوح للعيان، وبالمقابل فللقائم انحدار واحد ياخذنا لاربعين دقيقة لينهك قوانا وقد خفت بألاّ نحصل على مساعدة الريح الغربية المبكرة التي تمكننا من الإبحار او التقدم إلى مدى ابعد مما نريد ان نقف عنده.

وصلنا "سامراء"[(٢)] في السادس من نيسان في الساعة السابعة صباحاً، وبقينا إلى الساعة التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة حتى رتبنا أمر

---

(١) انظر الملاحظة ص٧

(٢) أصبحت "سامراء" في القرن التاسع ورغم التغيير البسيط في الاسم هي السكن الرئاسي للخلفاء من البيت العباسي- (غيبون، المجلدIIIص٢٢٥)، عسكر الجيش الروماني تحت قيادة جوفيان هنا بعد زحفه وقتاله في أيام الصيف الطويلة.

وقودنا، لم استلم-على أية حال-أكثر مما موجود على المركب وبكل استيعاب عمقه-والهدف من الوقود هو الوصول إلى المحطة التالية وهي مدينة "الدور"عندها سينتهي الوقود الذي لدينا على المركب.

تقع مدينة سامراء الحديثة على المنحدرات الصخرية العالية لضفة دجلة اليسرى- وقد أقيم الآن حولها سور على شكل جدار قوي بني على نفقة "الطائفة الشيعية" المتنفذة في الهند. - عندما زرتها في سنة ١٨٤٣ كان هذا السور قد بدء ببنائه توا. كانت المدينة سابقا مفتوحة وكانت تعاني من مضايقات البدو، كانوا يخيمون خارج المدينة ويهددون بسلب ونهب المكان إذا لم تلبى طلباتهم، أنها-على أية حال-الآن بأمان وبحرية من مثل هذه الزيارات.

ولكن أخطاء كبيرة غير مقصودة ارتكبت في حالة عدم تقييم الجدار من ناحية حد الانحدارات التي تعلوا عن حد النظر للنهر، والتي من الممكن للبدو ان يدمروا قناة سحب المياه التي توصل المياه إلى المدينة وذلك بقطع الإمداد عن هذا المرفق الضروري مجبرين السكان على القدوم والتفاهم من اجل الاتفاق، أنها-على اية حال-بمجموعها مدينة مزرية وتأتي أهميتها الرئيسية من احتوائها على الضريحين المتوجين بالقبب.[1]

---

(١) انظر المخطط المرفق مع هذه الملاحظات في الأصل

كبرى القبتين قائمة على ضريح الإمام الحسن العسكري لقد ذُهبَّت منذ عهد قريب وكما اعتقد، غطيت بالذهب المشابه لقبب "الكاظمين" و"كربلاء" و"النجف" ولكنها الآن بيضاء تماما، إلا ان الموارد المالية غير كافية، لإعطائها شكلا مشرقا. القبة الصغرى او تلك التي "للإمام المهدي"، قبة أنيقة جدا وجميلة، زخرفت بزهور صفر وبيض على أرضية خضراء متوردة: كان الإمام المهدي آخر الأئمة، ويبجله الشيعة ويقولون بأنه اختفى من الأرض في هذه البقعة. سرداب كبير خارج هذا الصرح الذي شيد بعيدا عن السرداب، وكما يعتقد ففي فترة من المستقبل سوف يظهر نفسه ولهذا يبجل من قبل الكثير من المسلمين ولاسيما من الشيعة.

يأتي الزوار[1] من كل أنحاء بلاد فارس لزيارة هذا المقام سنويا لقد أُعلمت بان عدد الزوار سنويا حوالي (١٠٠٠٠) زائر لهذه البقعة المقدسة ولكني أميل إلى الاعتقاد بان هذا العدد اقل من التقدير المعطى، ليس هناك ضرائب على الزوار ولكن مالكي الخانات والدور التي تجاور الأضرحة يدفعون للحكومة ربيتين عن كل فرد.

---

(١) خلال فترة احتلال المدن الكبرى مثل "كربلاء" و"النجف" من قبل "الأتراك" في ١٨٤٣ كان تدفق الزوار إلى بغداد الباشويه يزداد. أعطيت الكفالة في الوقت الحاضر عن طريق الحكومة وبإرادة الوالي المتسامح "نجيب باشا". لقد أعيدت الثقة للزوار الفرس المتحمسين للمذهب، وأكثر من ذلك أضيفت مادة للدخل السنوي للإقليم وقللت من الاعتبارات والإجراءات المتشددة التي كانت تتخذ في أوقات الأمراض ضمن سياسة الباشوات.



صورة رقم (٤) : سامراء

تتضمن المدينة الحديثة حوالي ٢٥٠ بيتا مع عدد من السكان السنة

وعددهم طفيف أي حوالي (١٠٠٠) نسمة ويكون بينهم حوالي (١٠٠) ممن يعملون بين ايديهم، اقطعت المدينة من قبل الحكومة هذه السنة إلى الضابط الموجود حاليا "سيد حسن" بمبلغ (٢٨٠٠٠٠) روبيه او بمبلغ يساوي حوالي ٦٦٠باون استرليني.

إلى الشمال من المدينة الحديثة بحوالي نصف ميل يقوم هناك برج لولبي غريب. انها تدعى الملوية[١]. لقد تم التحقق من قياس علوها فكان (١٦٣) قدماً بقدر الإمكان تقريبا. كان المنظر الذي حصلنا عليه من قمتها جميلا لبقايا "سامراء" القديمة و تنتشر أكوام من الآجر، الزجاج، آنية فخارية، والكثير من الخبث او الجفاء مما يتخلف عن صهر المعادن في كل اتجاه، و تظهر صفوف من المباني الضخمة "الصروح" بوضوح من هذا الموقع القوي[٢]، يقول مكون المدينة بانها تجهز بالماء من

---

(١) انظر المخطط لهذا البرج و"سامراء" الحديثة مع لقطة تشبه عين الطير إلى السياج الأثري.

(٢) يقود طريق لولبي في جسر البرج إلى القمة، اشر فريزر بوصفه لهذا البرج "الملوية" حالات بقاء السلم اللولبي المحيط بالبناء، انا اعتقد بأنه قد وقع في خطأ-من خلال التفحص الدقيق بأنه قد استعملت مادة صلبة في أعمال الآجر-كوى كبيرة تشبه تلك التي رصدت في "برس نمرود"في "مجيليبة" تخترق المبنى الضخم من الزوايا في الجهة اليمنى، ولكن لأية أسباب، ماعدا التهوية، انا اجهل ذلك، كل آثار "بابل" في الحقيقة فيها هكذا ثقوب او فتحات تخترقها، والمهندس المعماري او المخطط المنفذ لهذه المشاريع الضخمة للخلفاء بهذه الخصوصية يظهر إمكانية في تقليد أكثر الموديلات قدما.

خلال نفق حفر تحت الأرض، كان مصدره من المناطق المجاورة لحمرين، آثار هذا النفق مازالت ترى في بقايا آثار الآبار و"تسمى قنوات الخيرات او الخيرين" النازلة اليه. كلٌ من الملوية وبقايا البناء المستطيل "Jamma" جامع او مدرسة تنتهي اليها وتتكون من بناء آجري جميل، مع دقة ليس لها شبيه في هذا اليوم.

مساحة المدرسة نحو ٨١٠ قدم في الطول و٤٩٠ في العرض وفيها اثنتا عشرة دعامة بين الزاوية المحصنة في مواجهتها لشمالها الغربي وجنوبها الشرقي، وعشرة في جوانبها الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية.

تخلب المداخل المواجهة للقبلة اللب وتظهر في الحال النظام "الإسلامي". تظهر نافورة لتكون وسط المكان، ترتفع الجدران في الوقت الحاضر الى نحو ٣٠ قدما، وفي الجانب الجنوبي الغربي بقايا النوافذ على الطراز القوطي والتي من الممكن ان تميز إلى الشمال او الشمال الغربي من الملوية وتبعد نحو ميلين ونصف منها بقايا الخلافه او "قصر المعتصم"، الخليفة الثامن من خلفاء العباسيين[1]، وفيها المدخل الوحيد الباقي منتصبا الآن. تحتل الخرائب المتناثرة مساحة كبيرة وتحتها مقنطرات الحجرات التي تستعمل كسراديب. كانت عدة تقاليد معطلة لهذه الغرف الواقعة تحت سطح الارض، وكان قد اوجدها العرب،

---

(١) ترك بغداد بسبب التمرد الذي قام به سكانها- ملاحظة في "Rich" -مجلد ii ص٢٥١.

فضلا عن ذلك نحن مدينون لما كونه "بيكفورد فاذيك" عن اصل هذا الموضع.

خلال زيارتنا لها في سنة ١٨٤٣ نزلنا إلى السرداب بواسطة حبل استطلاع وبكرة وبكثير من الرعب ونزعة الخوف الطبيعية التي صاحبت الاهالي الذين لايثقون بانفسهم بالقرب من هذه البقعة ولكنهم انتظروا النتيجة لدخولنا بفزع خرافي، لقد اعتقدوا بقوة بان اسدا قد اختار هذا المكان ليقيم فيه محكمته، وعندما ظهرنا ثانية إلى البر بدون ضرر "سالمين". شكروا الله على نجاتنا.

كانت السراديب تشمل رقعة معينة، وكانت تشيد بقطع من حجر الجير الذي يقطع في مكان اخر، وتبنى به السراديب ولكن السقوف كانت تبنى بالآجر. كانت مكافأتنا على جهودنا قليل من قطع الحديد الصغيرة القديمة والصدئه ومقياس لسبر الغور واثنان من الحبال الذاوية.

كان موقع "سامراء" القديم من غير شك اختيارا جيدا. توجهه انحدار وسعة "دجلة" نحو الغرب، والفرع الرئيسي للنهروان يطول من "قنطرة الرصاص" إلى "نهر العظيم" في الشمال، و يطول الفرع الجنوبي "للنهروان"، من "القائم" في الاتجاه الشرقي إلى اتصاله مع الفرع الشمالي في الجنوب، ولهذا يغطي مثلثا من الأراضي الغنية، واطول جانب لها خمسة وثلاثون ميلا انكليزيا، والبقية اثنان وعشرون ميلا في الطول:

تحتل عدة مدن هذه البقعة الواسعة، ومختلف القنوات، فروع كثيرة من "النهروان" العظيم، مقطعه بخطوط متنوعة، والواقع يدلل على تنوعها الخصب، في هذا الوقت ليس هناك ورقة عشب او غصن شجرة مفرد من الممكن ان يكسر رتابه المنظر الشامل من قمة الملوية. الصمت الذي يشبه الموت هو الذي ينتشر حول هذه المدن البائدة، ويقطع اطرادها فقط عواء ابن آوى الذي ينبثق من سراديبها المهجورة.

يتشكل شمالي غربي "الخلافة" "قصر الخلافة" وعلى الهضاب المتموجة الاتجاه الايمن لوادي "دجلة"، تظهر خرابه أُخرى تحمل نفس الطراز العماري والتاريخ وتشاهد في هذا المكان، تقف دعامات الجدران التي تقابلك في فواصل اعتيادية على طول السور جزئيا و تنعكس على البناء كله على طول المسافة من أي مربع، صورة مجموعة من الاعمدة او الدعامات، هذه الدعامات مستديرة او ذات قواعد مربعة وقد بنيت بدقة وبعمل آجري جميل، انها تدعى العاشق او "المحب"، علمت بان بعض الهضاب المرتفعة بمسافة حوالي نصف الطريق بين "قصر"الخليفة و"قصر العاشق" او قريبة من الاخير في وادي النهر هي كما اعتقد من الخرائب القديمة جدا "من المحتمل ان تكون بابلية"، وتعود إلى تاريخ مبكر أكثر مما مؤشر فوقها. يدعوها العرب-على اية حال "قصر" المعشوق او"المحبوب"، وجسر على "دجلة" قيل بانه كان يرتبط بينه وبين العاشق وعلى الرغم من انتقال العادات والمعتقدات من جيل إلى

جيل فهي ترجع هذا المكان كحكاية تماثل مكانا مشهورا ومعروفا ولكنه عمل مشكوك فيه وبانه يعود إلى "ليندر"[1].

يوجد على نحو اربعة اميال إلى الشمال من مدينة "سامراء" الحديثة، ركام من التراب ينتصب في وسط السهل يدعى تل العليج" Tell AliJ"[2]. او "انف الهضبة المرتفع".

---

(١) "البطل الذي نوه عنه الشاعر "فيرجل" من هيليسبونتك المشهورين انظر ص١٣٥" "Herowdleander" في "ENCYCLOPEDIA AMERICANA" "المترجم".

(٢) يؤشر هذا الركام المرتفع الجميل، اللافت للنظر بغرابته في كل الاحتمالات لموقع الـ"Ustrina"او"Pyre"، محرقة، والذي احرق به جسم الامبراطور جوليان بعد وفاته لاخذ رماده والقاءه في ميناء طرسوس. لقد تعلمنا من "غيبون: Gibbon" في كتابه "الافول والسقوط" أعلى صفحة ٢٤، بان الجيش الروماني تحت أمرة جوليان قد تجول عدة ايام إلى الشرق من "بغداد" وبعد ذلك سار باتجاه "دجلة"، وقد تاثر الامبراطور بجراحه ثم توفي بعد ايام على حدود "سامراء"، كما ان جسمه حنط بهدف بعث الرعب والخطر، وقد علمنا بان "اناثوليوس" آمر الضباط والصديق الشخصي لجوليان مع ثلاثة من التريبيونيين "المدافعون عن حقوق العامة ومصالحهم" "نواب الشعب" قد لقوا حتفهم في اليوم نفسه وعندما اختار الجيش جوفيان امبراطورا، اتخذ سبيله اخيرا باتجاه "دجلة" وبعد المسيرة والقتال على طول ايام الصيف خيموا في المساء في "سامراء" في اليوم التالي واليوم الثاني بعد وفاة جوليان ظهر بان الجيوش الرومانية، مكثت في المخيم في "سامراء"، بدلا من ازعاج العدو بغارات متكررة على الحدود، اما الجنود الفرس فقد هاجموا المعسكر بينما كان الجيش الروماني يعسكر في وادي منعزل، في مساء اليوم الثالث- وهذه الاحداث مرويه في "معسكر الجيش الروماني في كرج"انظر الملاحظة في صفحة ١٨-

وللاطمئنان من خطر الهجوم اتخذت اجراءات الوقاية من خلال التحصن في ممرات او طرق مرتفعة عبر اراضي النهر المنخفضة.. وكان ذلك في اليوم الرابع بعد وفاة "جوليان". لقد نصبوا خيامهم في الدورة "Dura"اعتقد بانه يقصد مدينة الدور وليس الدورة "المترجم" حيث مكثوا إلى فترة طويلة، وشغلوا انفسهم عبثا بمحاولات لعبور "دجلة"، أخيرا قبلوا بعد أربعة أيام من المفاوضات بحالة سلام مذلة.

الظروف التي رافقت وفاة جوليان والمسيرات التالية للجيش إلى الدور هنا اخترتهم بشكل واضح من ان يتوجه أي شخص لدراسة المنطقة جغرافيا بين "سامراء" و"الدور" وان يستطيع رسم صورة مفردة على كل خطوة قدم على الاشياء البالية القديمة والتي تتعرض لخطر الجيوش والفيالق باستمرار. انها سوف تكون مكشوفه ومرئيه، لهذا السبب فان موقع "تل العليج" "انظر الرسم التوضيحي المرفق" يجب ان يكون ضمن الارض التي خيم بها الجيش في اليوم التالي لوفاة الامبراطور، وانه من المسلم به بان عملية التخييم تحت مثل هذه الظروف احدى الواجبات التي ليس فيها اختيار وان الحرارة في صيف "سامراء" لايمكن ان تغير ماديا في وقت جوليان وان دفن او حرق الميت خلال ست وثلاثين ساعة امر ضروري وملّح. ان السبب في تحنيط جسده، كما اتصور، هو اذعان للعادات العامة (انظر المصنف xiv. فصل٣، قسم٥، ٨٥)، او من اجل التمكن من مرافقة الجيش حتى عبور "دجلة" المؤثر، باطمئنان نسبي وفي أكثر الاوقات منحو الفرصة لانجاز شعائرهم وطقوسهم الدينيه المقدسة حتى في حالة وجود نشاط العدو، لكن الحر الذي لايطاق، اذا كانت هكذا قوته فاعتقد بانه يحول دون ذلك وهو مايدفع اما إلى دفن الجثة او تحويلها إلى رماد في هذه البقعة نفسها.

يطيل التأخير دائما المسافة إلى ابعد حد، لمرور الوقت، فضلا عن تلك الحالة فان الحد الاقصى لعدم دفن الميت يجب ان يتلاءم مع الظروف في السهول شديدة الحرارة

والرطوبة "للعراق" او "بلاد مابين النهرين"، والجيش لهذا كان مجبرا ان يخيم في مناطق منيعة لانجاز واجباته في اقامة شعائره الدينيه على جثمان فقيده جوليان، وهذا التفكير معقول باعتقادي-وقد ادى إلى استنتاج بان أي تاخير يحدث ويماثل هذا الحدث الحالي، لن يلتجأ إلى اشغال الجيش بمثل هذا الحدث المحزن، فضلا عن ذلك، في مثل هذه الاوقات، اعلمنا بان التوقف الكلي عن الأعمال كان ممنوعا، والذي كان اعتياديا يقرر من قبل قائد عام. يكون الجنود آنذاك أحرارا من تنفيذ واجباتهم العسكرية. وفي هذه الحالة-ليس من شك-بانهم سوف يستمتعون بالراحة التي ظلوا غريبين عنها لوقت طويل.

من المحتمل انهم قالوا بان تحنيط الجسد في ليلة وفاته يقتضي ضمنا نقله إلى الارض الرومانية، ولكن من الصعوبة افتراض التفكير بمثل هذه الفكرة من قبل جيش جائع ومحاصر ومنهك بغارات بربرية في كل ميل، ويهدف إلى مثل هذه المحزنه كما في حالات "غيبون: Gibbon"وقد اختصروا لحظات الحزن والتفكير، حتى ولو كان الغضب العنيف يجيز مثل هذا الحادث.

ان التفصيل الظرفي -على اية حال- للمأتم الجنائزي لجوليان، الذي حل فيما بعد في طرسوس-كما يذكر من قبل "غيبون: Gibbon".اذا كان صحيحا من الناحية الواقعية، سوف اعترف انا بضعف كل تلك الاقتراحات التي قدمتها، والتي شخصها هو بوضوح في المجلد الثالث "Voliii:p236"..التي كان عنوانها جثمان جوليان وقد نقلت من نصيبين إلى طرسوس في مسيرة بطيئة لخمسة عشر يوما ولكنه يذكر ذلك ثانية في الصفحة التالية، في الكلام عن"مفكر" سوفسطائي من "انطاكيا" "Antich "Mod Antakiyah) "Antioch"، وهو اسم لعدة مدن قديمة وأكثرها شهرة كانت "avrioxela" "Pliny" "Antiochia Epidaphnesy" وتقع على الضفة اليسرى لأورياتيس حوالي عشرين ميلا من البحر في السهل الخصيب الذي يفصل سلاسل جبال لبنان من انوف سلسلة جبال طوروس لزيادة المعلومات أنظر.

"ENCYCLDPAEDIA BRITANICA" المجلد الثاني (Annual- Baltic2) ص ٧٠ : المترجم).

تقودنا حماسته العامة في خضم حديثه عن البرود والاهمال "للرماد"الذي يمثل بقايا صديقه في بعض القياسات إلى الاستنتاج بان الجثة احرقت سابقا، سواء كانت هذه هي الحالة او فيما اذا كان القلب فقط يفي بالغرض لجوفيان لمنحه الشرف الاخير لبقايا العاهل الفقيد، والتي –من المحتمل- ان ستكون مصاحبه له للابد مع بعض الشك، ولكننا في الوقت نفسه لانستطيع ان نوفق بين وصف "Gibbon"للحزن العظيم الذي اصاب الجيش، وجوعهم وحالة لباسهم الرثه، النزاعات التي حدثت بينهم، التوق الشديد لكل فرد منهم لينقذ نفسه عند عبور "دجلة" عندما تكون خسائر الجيش حالة مشابهه لمذبحه يوم من ايام المعركة"، معاناتهم اللاحقة من الجوع والعطش في مسيرتهم الموحشه خلال قفار "بلاد مابين النهرين"، عندما كانت الحيوانات المثقلة بالاحمال تُذبح وتؤكل وكانت أسلحة وحقائب الجنود تنثر في الصحارى لثقل حملها مع رواية ان جثمانه وصل إلى حدود مدينة نصبين (Nisibis) ((Nisibis) "نصيبين حاليا وهي مدينة تقع شمال بلاد مابين النهرين إلى الشرق من مدينة حران في الوقت الحاضر جنوب تركيا في حدود سوريا".للمزيد من المعلومات راجع.

(Encyclopedia International vol 13-page 186. : المترجم)

في الحقيقة ان مسيرة الخمسة عشر يوما البطيئة التي كانت تستغرق زمنا لنقل بقايا جثمان جوليان من نصيبين إلى طرسوس سوف لن يتطابق-كما اعتقد- مع الابعاد الجغرافية بين المكانين لـ"٤٠٠" روماني، ٣٦٦ انكليزي او حوالي ٢٥ ميل مسيرة يومية وذلك ايضا خلال بلد كثير التلال يقع على اقدام طوروس. هذه التناقضات بالتاكيد دفعت إلى الشك على الأرض والتماسك العام للمؤرخين حتى في حالة عدم كون الحقيقة قاسية والتي كنت سابقا قد قدمتها حول عدم امكانية القيام بحمل الجثة لمثل هذه

وقد قيل من قبل في التعاليم المرفوعة من بعض منظمي القوانين بأنه قد امر جنده بان يملأ كل منهم مخلاة فرسه من التراب لهذا السبب سمي "تل العليج" انها بالضبط امثلة "مشابهات" لتكون على شكل هضبة تتشابه مع الأراضي السورية او كما في أراضي شهرزور قرب السليمانية.

المسافة فوق أراضي شديدة الحرارة والرطوبة مثل سهول "بلاد مابين النهرين"، وعدم امكان مثل هذه الإجراءات.

اعتقد لهذا باننا يجب ان نستنتج بشكل لائق، حتى لو كان جثمان المرتد جوليان احرق جنائزيا واتلف، وحتى لو كان قلبه او رماده ينقل في جرة، فقد كان شرف تسلمه من قبل جوفيان والمناحة الحدادية والاهانات الصاخبة من الزمر المعادية في الرحلة إلى طرسوس، فقد شكل مركز "قلب"الثقل القديم، ان الضريح الفخم المشيد لاحياء ذكرى مناقبه على ضفاف "Cyndus" وقد مضى وقت طويل على ذلك وخلود الأثر للأرض باق بواسطة الجيش المخلص فضلا عن بقايا المحبوب العام على حافة "دجلة" سوف يثبت إلى عصور قادمة من الاوصاف الممتعة لتل العليج او "Walijah"راجع اوراق دكتور روس في رحلة إلى "Opis" في المجلة الجغرافية الملكية الاجتماعية القسم الثاني المجلد الثاني الفصل التاسع الصفحة ١٢١ لقد وصفه بحوالي "١٠٠" قدم في الارتفاع ولكنني اعتبره على اقل تقدير "١٥٠"انه يظهر بشكل منفرد من المحتمل ان يحسب له حد، وبقوانين المستقبل سوف يحصن قمته كمكان يلجأ اليه من الهجمات المباغتة خلال التغيرات الدائمية، وخلال مراحل تعكر او تشوش الاجواء التي تنعكس على القطر باستمرار.

التقاليد العربية نفسها ليست غريبة قليلا وترينا مجموعة كبيرة من الناس كانت توظف في بناء الاستحكامات.

في الساعة التاسعة وخمس وخمسين دقيقة قبل الظهر في السادس من نيسان، تركنا "سامراء" وتقدمنا بصعوبة لمدة ساعة قبل ان نرسو على موضع كثير الحصى ومفتوح من "سامراء" إلى هذا المكان كنا نكافح ضد قسوة النهر وعنفه، وقد كدنا تقريبا ان نتغلب على انحدار الماء علينا من موضع ضحل، عندما فقدت المكائن قوتها كما ان عقب المركب مس الارض وفي لحظة كانت ترتمي على الشاطئ، مع جانبها وفتحتها المكشوفة في الميسرة إلى النهر وهي تسير بسرعة سبعة اميال جغرافية في الساعة تقريبا ، لقد قضيت اوقاتا عديدة في كل من اعالي الفرات وفي هذا النهر ولكنني لم الاقي اسوأ من هذه البقعة. كان الشاطئ يبعد حوالي مسافة ٢٩٠ ياردة، والقطر العالق في المرساة التي تستعمل في النهر كانت تثبت ، من التجربة الطويلة، بانها كما يقال عديمة الاستعمال بسبب الطبيعة الصعبة لقاع النهر، لقد عاد الملاحون إلى اماكن استقرارهم بقمة هزالهم.

بعد ست ساعات صعبة من الاجهاد نجحنا في سحب المرساة ووضعناها على سطح المركب، وسلسلة من (١٥٠) قامة (مقياس لعمق المياه) كانت تمسك بالمرساة سحبت خلال نهر صعب الجريان إلى المركب. نحن الان نفكر بعملية رفع المرساة المؤكدة وقد هنأنا أنفسنا على نجاحنا، وعندها انقطعت السلسلة إلى نصفين وادارت المركب بضجة كبيرة كما لو ان قاع المركب قد ثقب وانقلب رأسا على عقب، والجانب

الايمن من المركب هو الذي واجه كل وزن النهر، حاولنا عبثا ان نربط سلسلتنا ثانية اثناء هبوب ريح شديدة ورعد وبرق ومطر الا اننا كففنا عن العمل عند حلول الليل.

اجبر النهر خلال الليل الجانب الأسفل المحجوب عن الريح للمركب ان يعلو وان يتمكن من الرسو على الضفة، عندما تغيرت حالة الجو إلى ميمنة المركب ثم إلى الماء العميق، وقد حدث ذلك بواسطة تيار مائي ثقيل، وكان يعمل ضد المركب قاطعا او حاكا الضفة تحتنا. كان الجانب الايسر للمركب في ضوء النهار جافا تقريبا في اثناء ماكان الماء يصل إلى "١٨" انجاً في الميمنة التي تحتوي على فتحات الكوى، وقد بقينا طويلا في النقطة التي من المفروض ان تكون إلى الأعلى او من المحتمل ان تمتلئ عندما يصلها الماء. عند طلوع النهار-على اية حال- كنا منهمكين ثانية في العمل وقد سعدنا بنجاحنا في ربط السلاسل. من هذا الوقت إلى الساعة (١.٢٠) دقيقة بعد الظهر، في السابع من نيسان كنا نسحب الفواصل بجهد كبير، وبهذا استقام المركب، وأخيرا استقر على الأرض بترك النهر يمسك به من الجهة المعاكسة، استخدمنا الباقي من بعد الظهيرة بعد عملية الإنقاذ لنستقر في مرسى جيد ورفعنا مرساتنا والسلاسل المعدنية بعد ذلك، لقد تحركنا بصعوبة أسفل "دجلة" لعدة دقائق لنعود بعدها بشكل يفي بالغرض لنكون في موضع الحركة ثانية ولكن في أعالي "دجلة" و"الفرات" كان المجهود لساعات ان لم يكن

لأيام.

يتجول قسم من عرب "شمر" تحت قيادة "نجرس" في هذا القسم من القطر، كما الحال مع "البو حمد". قسم كبير من جمالهم ترعى في هذه المناطق المحيطة وتتمتع بطبيعة تحتوي على الكثير من الحشائش الغزيرة والتي يزخر بها كل مكان في هذا الموسم.

اقترب بعض من افراد القبيلة من المركب عندما رسى، وقد ارسلت البدو الذين استخدمهم اليهم لمنع أي مضايقة او ازعاج لملاحي السفينة اثناء مواراة المرسى في الشاطئ، حضر اثنان من الجماعة سابقا الشجار الذي فقد فيه "سليمان ميرزا" حياته، والذي جرح فيه صديقنا "تيمور" جرحا خطيرا برمح نفذ خلال رئتيه. لقد اعلمونا بان الشخص الذي قتل "سليمان ميرزا" بفصل رأسه عن جسمه بضربه واحدة، واجه مصيره بعد ايام فيما بعد من "عرب العجيل"، عندما هاجموا قافلة.

لقد تظاهروا بالندم على الظروف التي لازمت الهجوم على الأمراء، فقالوا بأنهم لايميزون العمل الصالح من الطالح منذ "مقتل زعيمهم، وقد قتل أطفالهم وخيولهم المفضلة أصبحت عاقر كما انهم عانوا من الأمراض وقد فارقت الفرحة ديارهم".

كان بعض الحديد الانكليزي-كما اعتقد يعود إلى السادة "لنج وشركاه" في "بغداد" قد عرض علينا للبيع ليس الا. كانت هذه المواد قد

سرقت من قافلة قبل أشهر قليلة ماضية، فضلا عن قنينة عادية اخذت من حفلة "سليمان ميرزا" طلبوا عليها سعرا باهضا وهو غازيتان "Ghazis".[1]

لم اقبل المقترح السابق كما ان عندي حديداً للبيع واشرت إلى نقطة الرمي التي اخبرني عنها السيد "Syed" وقد بعثت هذه الملاحظات البهجة في الحاضرين، أخيرا رفضت مايطلبونه لبضاعتهم مما خفض السعر، ظهر هؤلاء الناس وكأنهم مصدر قلق الجزيرة من خلال عاداتهم اللاقانونية. كانت "شمرَّ" مع ذلك تخشاهم وهم اقل رهبة منهم بكثير.

الثامن من نيسان: ارتفع النهر في الليلة الماضية ثلاثة انجات ووقف عند ستة مع جو بارد ورياح جنوبية وقد اصبحت منعشة وساعدتنا. في الساعة السابعة وسبع عشرة دقيقة كنا عند "قصر العاشق" الذي يمتد غربا إلى مسافة ثلاثة ارباع الميل، "كهف الكيب" "Chaaf el keeb"[2]، بعض المرتفعات العالية جنوب العاشق "١٥٦°"، "سامراء" "١٣٧°"، ملوية "١٢٩°" مع مرتفعات المعشوق بالخط نفسه تقريبا. "قصر الخلافة "١١٦°"، يصبح النهر من هذه الاتجاهات متوجها إلى الشمال الشرقي أكثر والمسافات قصيرة على طول المنحدرات الصخرية مشكلا الحدود الشرقية لوادي "دجلة"، هناك شمالا إلى شنعاز

---

(١) زهاء ٨ شلنات.

(٢) مرتفعات "اهل الكهف" او اصحاب الكهف والرقيم "سبعة وثامنهم كلبهم"..

"Shinas"[1]، وهي آثار حديثة والتي تطول إلى مسافة معتبرة تقرب إلى "أبي دلف" وهو صورة مصغرة شبيهة بالملوية، التي مررنا بها في الساعة الحادية عشرة.

ساعدتنا الرياح المعتدلة الجنوبية في الرحلة. وصلنا في الساعة الواحدة وعشر دقائق بمقابل تلول "المهجير" "Mehjir" و"قنطرة الرصاص"[2] او الفرع الرئيسي "للنهروان" الذي يصب فيه وهنا

---

(١) اعتقد بانه يشير إلى "تل شنيع" الذي يقع إلى الشرق من "سامراء": "المترجم"

(٢) وجدنا في احدى ملاحظات غيبون في كتابه "الافول والسقوط" المجلد الثالث ص٢٢٥ بان "M.D'Anville" قد اظهر نقطة مهمة حول "سومر" "الكنيسة" و "الدور". انا لم اعمل عمل "M.D,Anville" بنفسي ولاملم بالموقع الذي حدده للكنيسة ومن خلال ارصادي الشخصية-على أي حال- انا اميل إلى تطابق هذه المنطقة مع الموقع الذي خيم فيه الجيش الروماني، تحت قيادة جوفيان في الليلة التي سبقت وصولهم إلى الدور"Dur".

"السد العالي للنهر"لايمكن الا ان تكون السدود العالية "للنهروان" الضخم، وبواسطة "التلول التي منها كان رماة السهام الفرس يؤذون ويضايقون فيالق الجيش المرهقة"، انا افترض بان ذلك يعني كتل المنحدرات العالية وهي هنا تحد وادي "دجلة" الشرقي-كما ان هذه السدود تشكل اكداس الركام التي تكونت بسبب السيول الجارفة من الأراضي العالية مشكلةً وديانا صغيرة ضيقة وشديدة الانحدار، (الوديان المعزولة او المصادرة)-التعبير لغيبون- في اثناء مرورها نحو "دجلة"، مالم تكن كما افترضته مقدما بشكل منطقي، فمن المؤكد ان ليس هناك تلول موجودة على مدى خمسة وثلاثين ميلا من هذه المناطق المجاورة، ان العين تتجول على هذه الأراضي الواسعة والكبيرة والرائعة إلى حد استثنائي ويخفف من رتابة المنظر فقط

يتشكل المشهد لفعاليات القتال الذي قاده "عمر باشا" من بغداد ضد القبيلة الكبيرة "المجمع" "Majammah" (يوميات د.روس، الجمعية الملكية الجغرافية: المجلد التاسع) في الجانب الشرقي من دجلة على بعد حوالي ميلين على البر من السد الأعلى او القنطرة على النهروان المكونة من كميات كبيرة من الحجر ربطت مع بعضها بواسطة مشدات رصاص، من هذا أخذت اسمها "قنطرة الرصاص" وهو بسيط ويعني "جسر الرصاص"، ومع ذلك فهو ليس في الحقيقة جسراً في قناعاتنا في النهاية، ولكنه سد لحجز الماء في موسم الانخفاض انه من المحتمل ان يكون استجابة لكلا الحالتين، ولكن في أكثر الاحتمالات فان الاسم حديث وقد استعمل خلال اضمحلال القناة.

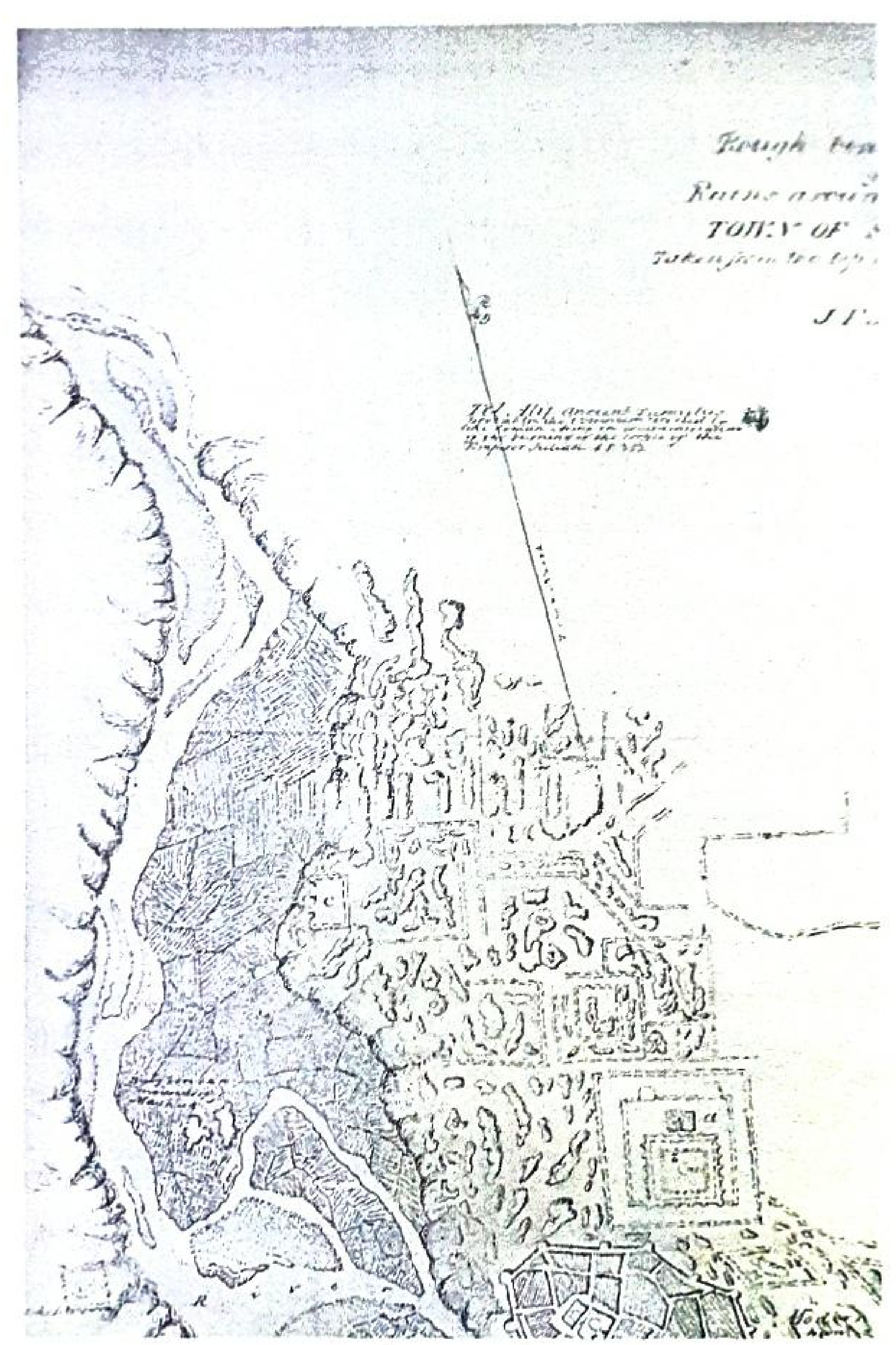
مررنا بعدة مخيمات لعشيرة "شمر" على الضفة اليمنى بالقرب من

وجود اثار باقية من العصور القديمة وهي معروفة مثل "تل البنات" و"تل العليج" الذي في كل الاحتمالات لم يكن الوحيد الذي شيد بواسطة الجيش الحزين على رماد إمبراطورهم وقائدهم ولكن بقي إلى هذا اليوم كذكرى حزينة على معاناتهم التي تحملوها، المسافات الجغرافية لايام المسيرة سوف توجد للتطابق مع حركات الجيش الكبير، والمواقع الدقيقة التي شعر جوليان بأنه يجب ان يتطلع اليها على مدى عشرة أميال إلى الشرق والشمال الشرقي "لسامراء" القديمة. تحمل الحقيقة مختلف المواضع الممتعة في هذا الجوار وهذا ماسنجده في صفحة "٢٩" من اليوميات الماخوذه من قمة الملوية في موقع المدينة القديمة.

"الحويصلات"[1] لقد امتدت مناطق مخيماتهم شمالا إلى مناطق قريبة من "الموصل". هؤلاء الناس-على اية حال-يرتحلون إلى الامام إلى "بغداد"، مثل صفوك، الشيخ العام، الذي تقدم إلى الجنوب. جماعات "نجرس" و"صفوك" الان ليسوا اطرافا متحالفة وهم مدينون إلى "نجيب باشا" والي بغداد، الذي قلد الاول منصب شيخ القبيلة، في الحين الذي بقي الثاني بهذا المنصب كحق له، اخبرني احمد الكود (يرتبط مع صفوك بواسطة النسب-الزواج) هذا الصباح بان "عشيرة العبيد" كانوا يملكون في وقت معين كل شمال "بلاد مابين النهرين" و"شمر" الحالية اغتصبت البلد بطريقة اصولية ولكن باسلوب لايخلو من الشك حتى بكونهم عشائر متمدنة بالمقارنة مع سلالات العرب السلابه. كان يقول:"عائلتان شمريتان مع خيامهم اصلا هاجروا من نجد، وبعد بعض الوقت خيموا مع العبيد"وفيما بين الملكيات المنقولة للقادمين الجدد"سلطانية خشبية" بحجم غير اعتيادي، كانت قد لوحظت ولكنها لم تثر أكثر من الغرابة حتى دعا الغرباء بعضا ممن كانوا في ذلك الحين ملاك الأراضي إلى وليمة، هناك كانت السلطانية موضوعة أمام الضيوف مليئة بلحم خروف كامل، زبد والمقومات الاعتيادية من طعام العرب الرحل.

---

(١) وهي تلول تقع إلى يمين سكة القطار التي تقع إلى يمين نهر "دجلة" للقادم من الشمال، كما انها تقع إلى الشمال الغربي من مدينة سامراء: "المترجم" راجع أطلس المواقع الأثرية في العراق/ د.عيسى سلمان/ الخارطة ٢٢.



صورة رقم (5): مدينة سامراء

كانت وجبة الطعام في حينه موضوع المناقشة، وكان العبيد عند عودتهم إلى خيامهم يتكلمون عن كرم وسخاء هؤلاء الغرباء والأبعاد غير الطبيعية للسلطانية العجيبة، استمع شيخ القبيلة الذي لم يحضر الوليمة، بصمت لبعض الوقت، ثم بدأ الكلام حول رعب أصدقائه، طالبا بان يكون وصول الغرباء الحالي وإقامتهم قصيرة وان يكون هذا الوصول دافعا إلى موتهم، مضيفا ومع أثير النبوءة، بان السلطانية المشهورة أخبرت قصتها بنفسها، وسرعان ما ستغمس العديد من الأصابع الغريبة فيها، لقد حدث ذلك بشكل واقعي كما تكهن بذلك الرجل العجوز، كان صوته مهيمنا في الاجتماع ولكن حياة الغرباء كانت قد استبقيت، بعد ذلك بأشهر قليلة، "شمر" بعد "شمر" وصلوا واولموا من سلطانياتهم المرعبة كثيرا. بعد سنين قليلة كانت كافية لترحيل عشيرة العبيد وان يصبح الشمريون امراء الأرض، اما العشيرة ذات القوة فقد أصبحت من الفلاحين والعبيد لشمر المرعبة".

هكذا كانت رواية احمد لاصل "شمر" في "بلاد مابين النهرين"، ولكن بالرغم من ذلك، استمر العبيد كقوة كافية لعرض أنفسهم للحكومة كقوة مهابة. انهم في الوقت الحاضر يشغلون المناطق المقابلة لتكريت وكما اعتقد لايعبرون إلى "بلاد مابين النهرين".

في الساعة الثالثة والربع ظهر ضريح الإمام "محمد دور" في

"الدور"[1] بامتداد الشرق - في الشكل مشابه للمخروط الذي على ضريح الزبيدي في بغداد، في قاعدة مربعة[2]. القرية خليط مزري من المنازل على مرتفعات متموجة مشكلة الحافة الشرقية لوادي دجلة، ومتباهية بمنارتها الصغيرة، مظاهر غنية لتشابه هذا الموقع مع سهول الدور"Plains of Dura" التي في الكتاب المقدس. يتوزع النهر الذي يقابل القرية على قنوات مختلفة، وكثير العقد ويفيض في مناطق منحدرات النهر السريعة[3] مع مرتفعات صاعدة فيما وراء جزر مختلفة الأنواع. أتينا إلى هذه الأماكن ثم رسونا فوق موقع القرية بمسافة حوالي

---

(١) دورا كانت مكانا محصنا في حروب انتيوكيوس ضد المتمردين الميديين والفرس ملاحظة: عند غيبون"Gibbon"من يوليبيوس-المجلد الثالث صفحة ٢٢٦.

(٢) اعتقد بانه يقصد ضريح الست زمرد خاتون في الشاجية والشائع عنه خطأً عند العامة بانه ضريح الست زبيدة.[المترجم]

(٣) بعد الليلة الرابعة لوفاة جوليان كان الجيش تحت امرة جوفيان قد عسكر في هذا المكان، والتجربة اثبتت الصعوبة الكبيرة، وعقم محاولات عبور "دجلة". كانت المعاهدة المخزية بين سابور وجوفيان قد عقدت هنا. كانت الحصون المنيعة لنصيبين وقلعة سنكارا "Singara" قد اكتسبت من قبل الفرس في بند مفرد، وقبول سلام مخز لمده ثلاثين سنة، تمت الموافقة عليه من قبل "وطني غامض" كما اصطلح "غيبون" على الامبراطور الجديد المنتخب-"غيبون مجلد ٣ص٢٢٨".

ان المصاعب العظيمة التي سوف يلاقونها في الوقت الحاضر هي عبور هذا الجيش الكبير لهذه المواضع الاستثنائية، النهر هنا سريع بشكل غير اعتيادي بسبب الانحدار الشديد لقاعه.

ميل واحد لاستلام وقودنا الذي كان على الضفة بانتظارنا. تجمع السكان حالا. أحضرت رسالة الباشا وقدمت بكل علامات الاحترام. بعد قليل من المشاورات أرسلنا في طلب تابع صخاب، وبيدين ملطختين بصبغ النيلة.. "ازرق" والذي يتابع نداء الصباغ - (خلفه/ مساعد صباغ: المترجم) فضلا عن انه ملا، ومعلم للشباب في الدور . سلمت له الرسالة باليد ليقراها بصوت عال لارضاء مستمعيه الذين شكلوا حلقه حولنا-وضع يده اليمنى في جيبه والتي كانت واسعة كفاية لتمسك أي واحد من طلابه، كان يلبس زوجا من النظارات، وواضعا نفسه في مركز الآمر، وتلى الرسالة الرسمية التي استلمها بأعلى صوته الجهوري وعندما ختم كلامه ضج المكان بالتصفيق إشارة الاستحسان بالنسبة لهذا التجمع واستعدادهم لعمل أي طريقة انا اطلبها.

هناك إلى الشرق من الدور حوالي ميل ونصف ركام من التراب فوق قبر يسمى "تل البنات"[1] او هضبة البنات، وهي مازالت قائمة في

---

(١) هذا التل يشبه "تل العليج" في المظهر، انه بنحو العلو نفسه وبوضوح يقارب قدم العصر القديم، وقد اعتني كثيرا بانشائه، وبقايا الخندق وطريقة التغطية مازالت متميزة. الركام من التراب بدون شك-من اصل روماني والقطع النقدية النحاسية تحمل شخصيات رومانية ولكنها متآكله او صدئه لتثبت مايفك شفرتها، وقد وجدت في المناطق المجاورة لهذا الموقع. نحن نعرف بان كلا من منشات الاغريق والرومان واضحة لوضع الركام فوق الرماد الذي يتخلف من جثامين جنرالاتهم المشهورين،

ذلك المكان .

انها مشابهه إلى "تل العليج" ومن الممكن ان ترى حالا من مسافة قريبة في نقطة معزولة في السهل بينها وبين القرية عدة "كلاسات" وهي افران بدائية لحرق حجر الكلس وتحويله إلى كلس، يوجد الكلس هنا بكميات كبيرة، و تجهز "بغداد" بشكل رئيس من هذا المكان، انه ينقل باطواف تصنع من الخشب نزولا في نهر دجلة.[1]

ومن المفترض انهم لجأوا إلى هذا النموذج من الدفن لموتاهم اللامعين في بلد يكون الحجر فيه غير متيسر للنصب التذكارية. ان الطبيعة الدينية المقدسة للضريح بين الشعوب في العصور القديمة التي تحفظ هذه الشخصيات الطاهرة في العصور السابقة تحاول بهذه الطريقة ان تحفظهم بالاحرى من ايادي العرب المؤمنين بالخرافات، وفي الوقت نفسه بدلا من تدميرها اضافوا إلى هذا المبنى هذه العوامل الطبيعية فلما هبت الريح حاملة التراب او غيوم الغبار اضافت له وجعلته اكبر من شكله الاصلي ويتحول إلى شكل امتن ويصبح أكثر خلودا من النصب التذكارية الأُخرى، اذا كان من المسلم به ان "تل العليج" هو ضريح سيئ الطالع "جوليان"، فيجب ان نستنتج نحن بأن تل البنات قد غطى بقايا قائد الفيالق الذي اعتقد بتكرار الهجومات التي قام بها الفرس هو والذين فقدوا حياتهم في سلوكهم السيئ عند محاولتهم عبور نهر "دجلة" في هذا الموقع.

(١) الارماث او الاطواف "جمع طوف"في الاستعمال في دجلة في الوقت الحاضر لم تبدل إلى نوعية أكثر عقلانية منذ ايام المؤرخ اليوناني هيرودتس، مؤلف كتاب "اناباسيس"ومؤرخ الامبراطور "جوفيان" الذي جمع أعمالهم. انهم يركبونها من اغصان الأشجار المدعومة بجلود الخرفان المنفوخة بالهواء ومؤهله لتحمل ثقلا مؤلفا من ثلاثين او اربعين طنا. هذه الاطواف مهيئة بشكل باهر للانحدار من اعالي دجلة،

مسيطرة ولكن بقدرة قليلة على جر الاثقال في الماء، انها تتمكن من الطوفان على مختلف الممرات المائية والمواضع الضحلة التي تلاقيها في طريقها إلى بغداد، تطوف مع النهر او الجدول باثنين او اربعة مجاذيف، تتلاءم مع حجم الطوف، وقابل على ابقائه في القناة الواسعة، والحوادث التي قلما تحدث. وفي حالة الطوف الذي يفرغ حمولته في "بغداد" فان خشبها الذي صنعت منه يباع ويعود على صاحبه بثمن اما الجلود فبعد ان تجف تعاد اما إلى "تكريت" او إلى "الموصل" بالبر، بهذا الأسلوب فان كل المواد السليمة من الكتل التي تشبه رخام "خرسباد" والتي، استخرجت من قرى بهذا الاسم مجاورة إلى "الموصل" بواسطة "مستر بوتا" "M.Botta" نائب قنصل "فرنسا" على نفقة الحكومة والتي تنقل إلى "بغداد"، ومن هناك تحمل إلى مراكب محلية لتوصلها إلى "البصرة" حيث السفن الشراعية العالمية "Comorant"تقف على استعداد لايصالها اخيرا إلى "فرنسا".

يُعد السفر بالطوف وسيلة مفيدة، وافضل كثيرا من السفر بالبر من الموصل إلى بغداد-فيها خيمة بحجم مقبول، وكافية لتحميك من حرارة الشمس، من الممكن ان تحمل البضاعة بهذه الوسيلة المبتكرة وكذلك بعض الكتب، مع مشاهد مختلفة، سوف تخدم في قتل الوقت في هذه الايام القليلة (ستة ايام ابعد حد وقد تكون يومين) وذلك مايشغلك في انحدار النهر. انها-على اية حال-ليست في كل الاوقات طريق امنه، وخصوصا عندما يكون العرب في حالة مشوشة ناتجه عموما في بعض اوقات البؤس التي تلجأ اليها بسبب اجبار الحكومة لهم وهم لايكفون عن ايقاف وسلب أي اطواف او مسافرين من الممكن ان توصلهم الصدفة اليهم، في الحقيقة انا اعلمت بانه لم يقع حادث لاي موظف بريطاني مسافر بهذه الطريقة وهوجم من مكمن وقد اضاف محدثي، ومع ذلك فان المسرف في الثقة الشخصية وان كان مسلحا حتى اسنانه، ولم يبد اشارة لعقده العزم على الا يكون نشطا او واعيا، والافسوف يجرد من أي شئ يحمله وحتى من ثيابه الداخلية.

فيما مضى قابلنا بعض المجموعات الذين ساعدوا في تجريد بعض المسافرين سيئي الحظ من ملابسهم، كانت كلا الحالتين للضحك او للتسلية ان تشاهد البهجة في تمثيلهم الزائف لتضرعه بان يعيدوا له فقط حذاءه-هذا كان-على اية حال- منكرا من قبله، وانه كان مجبرا ان يمشي حافي القدمين خلال شجر الجمال الشائك "الشوك :المترجم" من المخيم رجوعا إلى الطوف. مشيته وايماءاته تحت هذه الحالة من المعاملة المهينة كانت تجسيدا لا يضاهى من قبل آسريه القساة.

لقد سمعت قديما بانه ليس من باب التبجح ان تبدي للعيان بانك تحمل عدة مسدسات وانت تسير بشكل فردي، ولسوف يعامل هذا الشخص معاملة افضل، وسوف يسمح له ان يستعيد ملابسه بدلا من ان يجبر على الظهور عاريا على الطبيعة.

ان الظهور للعيان واستعمال اليدين بشكل طائش، في هذه الحالة لايمكن ان تكون مستنكرة بشدة، المسدس الشخصي او السيف يكون كافيا ليخوف مجموعة قليلة من السراق، ولكن مع قبائل الصحراء وفي حالة فقدان القانون، من يهاجم عموما بعدد بالغ، ويحمل أسلحة هجومية وبقوة متباينة، ويكفي لاثارة الهياج، وبشكل يقود إلى إراقة الدماء، والتي يرغب العرب في اغلب الحالات تفاديها، الدم اذا سال يوما فان النتيجة تكون سهلة الفهم. ان قدر السادة "تايلور"، "اسبانيال"، "بوتر"، كان حظا حسنا، اعتقد ان المرحلة المهجورة سجلت عملية قتل تبعت عملا طائشا من الأعمال غير الحكيمة التي تستعمل فيها الأسلحة فيما بين الأوربيين، ولكن مثل هذه الحوادث تسمع بشكل مألوف كحوادث للمواطنين في البلد وليس بين الأوربيين: وفي الحقيقة فان قانون الدم في جميع الأحوال والامكنه معترف به في قواعد واعراف العرب، في بعض القوانين القياسية المختلطة (غير المميزة) يؤخذ فيما يتعلق بالحياة كتعويض للفقدان بين الأصدقاء او الأقارب نتيجة نزاع او ضغينة ومع ذلك فهذا القانون له اضراره، انه معنويا شئ جيد بين القبائل غير المتمدنة في الجزيرة العربية، فبالنسبة للجرائم ستصبح مألوفة أكثر في حدوثها، لايخافون من الثار ويتجهون إلى كبح

لاحظت بان السكان عموماً يبدون مرضى، يبدو تقرُّح العيون مؤلما لقسم كبير من الجماعات. تبدو بعض النساء جميلات ونظيفات ولا

وتقييد الانفعالات الحيوانية. العائلة تمتلك مايعرف بمصطلح الدم بيديها وهي عموما تنأى بنفسها عن بقيه القبيلة والتي ترهب ان تكون متورطة في النتائج او العواقب، نفس القانون يؤثر على الفرد، من الممكن ان يستبدل العقاب-على اية حال "الدم بالدم" بمبلغ من المال يدفع من قبل المذنب إلى القبيلة التي تضررت هذه المجموعة منها. قسم من الاخيرين يستفيدون فقط من هذا المبلغ. المبلغ يجمع من كل العشيرة التي تدفع الدية والتي ينتمي لها المتهم او المجرم على شرط ان يكون فقيرا جدا ولايتمكن من دفعها بنفسه والجريمة يجب ان لاتكون ذات طبيعة مثيرة للغضب. ان ثمن الدم "الدية"تتفاوت في الاقسام المختلفة، فضلا عن ذلك، لاتقبل في كل الأوقات. في المدن يكون المبلغ قليلاً وفق درجة الجماعة الاجتماعية، ويكون نحو ٢٠ إلى ٣٠ باونا. بينما عند قبائل الصحراء يكون أكثر بكثير، يبلغ في بعض الحالات إلى ضعف هذا المبلغ، يدفع قسم منه بالنقد المسكوك والقسم الاخر بالجمال، الثيران، او الخراف". في ترسيخ هذه الشؤون، تصرف جيد لتشكيل يسري بينهم. ان رؤساء القبيلة والعلاقات بين الجماعات تشغل اجتماعات القبيلة في نقطة محدودة، وبعد دفع الدية يدعى الشهود للقسم بالقرآن على طبيعة التسوية، الكل يحفرون الأرض معتبرين ان الضغينة قد دفنت ثم بعد ذلك تدفن هذه الحفرة الصغيرة "دليل انتهاء المشكلة" واللعنة ستصب على رأس أي جماعة من الممكن ان تحيي النزاع، ثم تنصرف الجماعات.

هذه الاتفاقية-على اية حال- لاتعقد دائما، ففي بعض الحالات القليلة يكون فيها العطش للثأر مسيطرا، وكل القبائل تكون متورطة بهذا الخرق للقانون وفاء لرجل واحد مفرد.

يظهرن مذعورات عندما يقتربن من المراكب.

اكملنا التزود بالخشب في الساعة السابعة وخمس واربعين دقيقة في يوم التاسع من نيسان واستمر تقدمنا. يعد النهر أعلى هذا المكان جديدا للسير. لم يصل المركب إلى مابعد الدور. عندما حاولنا الصعود سنة ١٨٤٣، حقاً لم تكن تساعدنا ريح جنوبية قوية، واخشى بان محاولتنا الحالية سوف تصاحبها خيبة الامل.

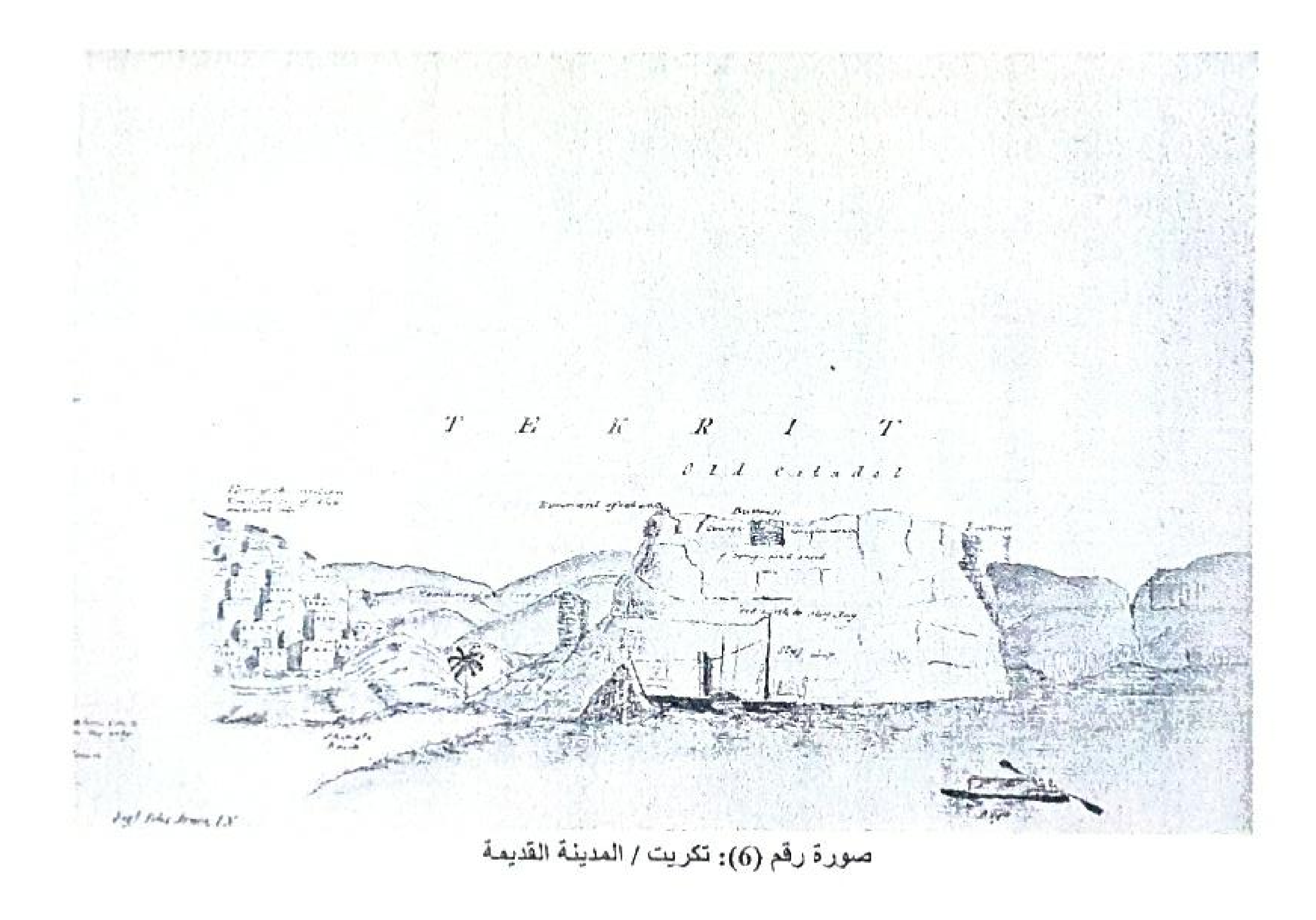
في الساعة العاشرة وخمسة عشر دقيقة واجهنا انحباس صغير في منطقة "الحاوي". في الضفة اليسرى ينعطف شرقا نحو ميلين، انه يدعى "خان جوزاني" ويوفر هذا الخان الحماية لأدوات الزراعة والحراثة التي تستعمل في الموسم من تهديدات الجماعات السلابة من "العبيد" و"شمر". يقع الضريح في منطقة الدور في اقصى زمن "١٥٧°". يعرف النهر من الدور إلى هنا باسم "الخان"وكثيراً ما يقطع بالجزر جاعلا من القناة الرئيسية متعرجة بشكل كبير. يُعد صعودنا إلى هنا استمرار الكفاح ضد تيار قوي، يجعل المركب بالكاد يتدبر الامر ليسير. يفيد التقدم في حالة كونه ضد العقبات او الصعاب، ثم الوصول إلى منطقة مقابل "شريعة العوجة""Sheriat el Aouja". كان مكان الرسو في فجوة في المنحدرات الصخرية في الجانب الغربي من دجلة. من هذا الموقع تقع "الدور" على "١٤٩°". تتوقف القوافل هنا للتزود بالماء. في وقت مرورنا كانت جماعة من الغزاة او جماعة السلب من "شمر" كامنة

بالانتظار لانتهاز أي فرصة تحين لاغناء أنفسهم على حساب الآخرين. قبل ان نصل إلى "تكريت" بمدة طويلة كان السكان قد رحلوا، اما الراشدين من المواطنين فقد كانوا يقابلوننا بشكل مطرد لعدة أميال، في الساعة الرابعة بعد الظهر رسونا في "تكريت" وقد زارنا الحاكم "مصطفى افندي" الذي وضع كل امكانيات المدينة تحت تصرفنا، وقدم لنا عدة خدمات ووضع في خدمتنا عدة قواسين عموميين[1]. واقل ماكنا نتمناه هو تزويد المركب بالوقود، وقد أصبح الازدحام حولنا كبيراً.

تمشيت عند المساء، إلى قمة المنحدر الصخري حيث تستقر القلعة، انها تحمل علامة تؤشر إلى قوة بانيها، واصبح من الطبيعي تقريبا بلوغه او التاثير فيه او الحصول عليه، وهذا مايجب ان تكون عليه حين حصنها "بانيها".

---

(١) القواس:شرطي مسلح:: "المترجم".



صورة رقم (6): تكريت / المدينة القديمة

تواجه القلعة النهر بشكل عمودي تماما وتظهر على شكل طبقة أفقية من الصلصال المفخور، ارض حمراء، رمال جميلة، ومجموعات مختلفة من النباتات المتنوعة رقدت وصعدت من حافة الماء إلى قمة القلعة وفي الحقيقة هذا هو التشكيل العام للمنحدرات النهرية المحيطة بكل جانب لوادي "دجلة" من "سامراء" إلى "تكريت".

تبلغ هذه المنحدرات المعزولة زهاء ١٣٠ ياردة طولا في ٧٠عرضا وبارتفاع ٨٦ قدما[1] من حافة النهر، ولكن بقايا الأنقاض للنباتات السابقة تبعثرت فوق قمتها مما زادها إلى مئه قدم، تتواجه في القسم الأعلى اجزاء كبيرة من القلعة من الكلس والحصى، مع مبنى آجري صلب، تتتاخم حول الجرف، بين الحائط الذي كان قائما في يوم ما في الوجه الجنوبي بين القلعة والمدينة الجديدة ونصف الطريق، اسفل المنحدر، دعامتان لحائط من التشكيل نفسه الذي للقلعة تشيران إلى موقع المدخل. كان الآجر الذي يواجهها قد نقل إلى مباني أُخرى، ينقل خندق عميق ذو اتساع حوالي ٣٠ ياردة، ولكنه الان ملئ بالنفايات، ماء "دجلة" حول قاعدة القلعة، وهكذا تعزل تماما ويتم تحصينها قبل ان تصبح غير صالحة للاستيطان. في الجنوب من هذا المكان وعلى تل منعزل، تقع المدينة الحديثة، طوقت سابقا بسور وقد اسقط لما اصابه من

---

(١) قدر "Rich"، رج في عمله، الارتفاع بـ"٢٠٠" قدم، انه على خطأ وذلك لانني بذلت بعض الاهتمام في قياساتها.

خراب. انها تحتوي في الوقت الحاضر على ثلاثمئه بيت بائس ونحو الف من السكان، ولكن الفضاء السابق كان مشغولا بالمدينة القديمة وتشهد عليه بقايا عظيمة. مازالت بعض من البقايا تدعى "الكنيسة" تشاهد قبل سنوات قليلة مضت .عندما حاصر "صفوك" "شيخ شمر" المدينة، حفر السكان خندقاً حول المدينة للدفاع عنها، أنواع عديدة من الأبنية الفخارية والزهريات المدفونة نبشت وأخرجت، واحدة منها كانت من ضمن ممتلكات "مولا رجب". لقد تكلم عنها "د.روس" في يومياته، وقد حصلت على اليوميات بمشقة من الحائز. انها تفوق قيمة صور الرجال والطيور من مختلف الأنواع الا انها عمل بدائي ومن المحتمل ان تكون من الأعمال البابلية.[1]

في المدينة الحديثة مسجدان ولكن من دون منارة وشوارعها خالية من القذارة وبكل معنى الكلمة تتصف بمظهر النظافة وحالة لايمكن ان ترى في مدن الشرق-لقد اخبروني من باب الضرورة بان هناك اربع مئة بندقية من نوع "بندقية بارود" "ام الفتيلة" ومسدس من الممكن ان تجمع من اجل الدفاع عن المدينة، وانا اميل إلى الاعتقاد بان هذا في الواقع اقل

---

(١) انها الان من ضمن ممتلكات "ميجر راولنسن" C.Bالممثل السياسي في تركيا"الجزيرة العربية"والعالم ومؤلف لايعرف التعب في عمل هو الان في الطبع حول الكتابه المسمارية في الشرق فضلا عن انجازاته الأُخرى المختلفة والتي اضاف اليها دأبه ومواظبته على الاهتمامات الآثارية القديمة.

او أكثر من الكمية المطلوبة. حافظ "التكارته" "Tekritlis" على اية حال- على موقعهم ضد الاعراب "Arabs" وحتى لقد اجبروا قوة "شيخ شمَّر" على التخلي عن أهدافه في الهجوم على هذا المكان، واكتفى بموقف التهديد الكاذب.

ذكر "مستر رج" في كلامه حول هذا المكان في ايام الازدهار عن الوالي "داود باشا" الذي قرر الإقطاع للأراضي بالالتزام[1] مقابل "٢٢٠٠٠" قرش "ملغيه" بيزات قديمة وقد منحت في ذلك الوقت إلى ستمئه بيت، انا افترض بان هذا خطا بالنسبة للوقت الحاضر، ومع ذلك فالبيوت الان هي نصف ذلك العدد وتناسب مواطنيها صغير، وذلك من التأثيرات الوبائية وأسباب أُخرى.

يدفع المالك او المزارع سنويا للحكومة في "بغداد" مبلغا من المال اكبر ثلاث مرات مما ذكره، "مستر رج"، وهو حوالي "٦٨٠٠٠" بيزة "Piastres" او مبلغا يعادل زهاء ٦٠٠ باون من المال وقد رسِّمت هذه السنة.

الحاكم هو "مصطفى آغا" وهو ممثل او وكيل المالك الذي يقيم في بغداد: انا زرته في منزله، فيما اذا كان هذا المنزل البائس يدعى منزلا. لقد

---

(١) جعل عائدات الأرض او ضرائبها حقا لشخص معين يلتزم جبايتها لقاء مبلغ محدد يدفعه: "المترجم".

استقبلني بكياسة جداً واخذ مقعدي ليضعه بين كبار المنطقة، كانت تناقش مختلف المواضيع. منحنا الحاكم كل الانتباه، وليرينا تربيته وتهذيبه ومعرفته بالعالم قبل ان تنعقد الجلسة، سألني ان كنت احب شرب القهوة على الطريقة الأوربية مع الحليب والسكر او العربية، لم اشا ان أضعه في أي نوع من المتاعب، لذلك طلبت الأخيرة، ولهذا لم يخالف الطلب، وبعد عدة تعليمات ودروس على فن صناعتها، ظهر خدمه وقدموا لنا شرابا جيدا نوعا ما.

قدمت شكاوى كثيرة من "التكارته" ضد الحكومة، وفي الوقت الحاضر، فإن الحالة غير مستقرة لهذا القسم من البلد، خوف من "شمَّر" في جانب ومن "العبيد" في الجانب الآخر، وقد منعوا سكان المدن من ان يمتدوا بحراثتهم إلى حدود أراضيهم المعتادة وبالنتيجة فان الأراضي الغنية التي تقع بين "تكريت" و"حمرين" اصبحت قفراء تماما. كل السكان "مسلمون" باستثناء يهودي واحد منفرد وهو في هيئة الحاكم ويعيش حياة لايحسد عليها، وبالنسبة للسؤال "ماذا لديك في تكريت"؟ "نخلة تمر غير مثمرة واحدة، ويهودي ملحد"كان هذا هو الجواب.

حصل خلال الليل ارتفاع عال للرياح الجنوبية ومنه استنتجت خط العرض " ٣٥ - ٤٥ - ٣٤°" ، شمالي، ومن القلعة[١] حصلنا على بقيه

---

(١) لقد بحثت عبثاً عن أي معلومة قديمة عن "تكريت" التي تمتاز بقوة طبيعية وقد شكلت بحدود حصينة، وبعوامل اصطناعية حيث مازالت البقايا تلاحظ بوضوح،

المعطيات:-المعطى الحقيقي للضريح الذي في الدور "٨E _ ٢٧'S" المعطى المغناطيسي لنفس الشئ المشابه "٣٠E _ ٢٤°S" وقد سبب التغير إلى "٣٨W -٢" ، "تل البنات" قرب الدور "١٥٠°" "وخان جوزاني" "١٤٨°" "خرائب على الجهة المعاكسة من النهر تدعى كنيسة "١١٠°" هناك في البداية من حمرين عندما يشق دجلة طريقه خلاله،

انها ليست لافته للنظر ولكنها ايضا-حسبما اعتقد-بقيت لاتتماثل مع بعض من القلاع الاثرية. اهتم كل من "رج" و"فريزر" بشكل دائم بالاشارة اليها بربطها بالوصف الجغرافي لاعالي "بلاد مابين النهرين"، وقد اخفقنا في ربط أي وثيقة تاريخية لهذا الموقع، لاحظت في الاطلس القديم بان "بيرثا" قد اشرت كموقع في هذا المكان، وليس هنالك باعتقادي مايشير اليها، لقد اجبرت بشكل غير مقصود ان ابقى في جهالة، تعد "بيرثا" "Birtha"-على اية حال- متطابقه مع "Bir" او " Birc hjik"مدينة صغيرة تحتل موقعا قديما على اعالي الفرات وقريبة الشبه بالقدم إلى الاسم الحديث والذي يبدو مسوغا للاستنتاج، انا اميل لاعتبار انها كانت في وقت ما مدينة مسيحية، كان للعرب تعاليم مؤثرة، ومصطلح الكنيسة كان فقط يشير إلى معبد النصارى، والذي يجب ان يحصل على ترخيص مفترض، ثلاث صروح فرعية في المدينة الحديثة وبقايا خرائب في الضفة المقابلة لدجلة وهي ذات دلالة.

خلال كتابه الملاحظة المشار اليها في الأعلى لاحظت بان مستر "اينسورث" في كتابه "اسيا الصغرى" اشار إلى "تكريت" بكلمه "Tagrit"في قائمة للاسقفيه الكلدانية "المجلد٢" ص٢٧٦، من الدليل المنشور بواسطة دار "Amru"في القرن الثاني عشر. ان وجود آثار بابلية مقدسة "ص٢٣ من هذه اليوميات" خلال خرائبها-على ايه حال-سوف تحيل اصلها إلى تاريخ سابق للمسيحية، ولكن تحت أي لقب كانت تعرف به، ومن اين اخذت اسمها الحالي، لقد فقدت حدسي.

مكان يدعى "الفلاحة" "EL Fel, hha" "٣٤٨°" "١/٢°" خرائب لدير قديم يدعى "دير البنات"[1] او "مسكن البنات" يقف على نحو ميل ونصف إلى الشمال الغربي من القلعة.

عملنا يشتمل على عملية الرصد بالكروفو ميتر[2] وارسال رسول إلى "الموصل" مع رسائل إلى نائب القنصل، وتعليمات او وصايا للاتصال "بصفوك"، الذي عنونت له رسالة مجاملة "مدح"، وقد تركنا "تكريت" في الساعة التاسعة واربعين دقيقة قبل الظهر دليل جديد او على الاصح هو من الادلاء القدامى "وكما اعتقد ان عمره اكبر من سبعة عشر عاما" وقد عمل في النهر قبل هذا الوقت.

في الحقيقة انه الشخص نفسه الذي ارشد المراكب في الفرات في خدمة "شركة لنج" منذ سبع سنوات لقد اكد بعد ساعة من صعوده إلى المركب ومشاهدته لكفاءة المركب ضد التيار، بان المركب سوف لن يعبر المنحدرات الموجودة في ارتفاعات الفرات الصعبة، في الحقيقة خفت مما قاله بان تثبت الحقيقة حول رحلتنا اليوم وبانها ستكون ابطأ كثيرا من البارحة، و سوف نتوقف في الكثير من الأماكن المتراكمة تقريبا بشكل تام. وصلنا في الساعة الرابعة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر إلى رأس ملئ بالصعاب وليس هناك من امل بالمرور قبل ان يأتي الليل ونصل إلى

---

(١) من المحتمل ان يكون دير الراهبات عندما كانت "تكريت" اسقفية مسيحية.

(٢) اداة لقياس الزمن بدقة بالغة: المورد.

ان نرسو في الموضع الآمن لنلتقي مع الجيران.

من منطقة الدور "ظهرت القنوات الرئيسية لتكون ضيقة إلى القسم الغربي من وادي دجلة، ولكن إلى الاسفل من ذلك المكان فان جسم النهر الرئيسي يدفع نفسه على المنحدرات الشرقية".

خط العرض كان مرصودا هذا المساء بواسطة الارتفاع العمودي لعمود الزئبق فوق سطح البحر لـ"Dubhe"، "دوبه" "52 - 41 - 34 "وهكذا كان تقدمنا كل اليوم بحوالي ست ساعات ونصف بقوة دفع تساوي "٦ - ٧" شمالا فقط.[1]

دعا الدليل"المرشد" هذه البقعة "السعلوه" "El selwa"، ويخاف "الكلكجية" او رجال الاطواف بشكل خاص من الموضع الذي يقع في هذا الجوار. يعتقدون بان المنحدرات الداخلية مكان سكن مرضي ولكنها تشكل مجرى ماء يغوي، وهو مغري ولكنه يحطم.

الحادي عشر من مايس: الساعة السادسة واربع عشرة دقيقة صباحا، قبلنا الرأي، ولكن في الضباب يخدعنا النهر، فهنا الالتواء وليس هناك من متسع من الفضاء الضيق ويفيض النهر، ليجلب رأسه إلى أعلى النهر ويدير دفة المركب ساحبا المرساة في رجاء ان نفحص الموضع هنا، ولكن بدون نتيجة، بسبب الطبيعة الصعبة لقاع النهر،

---

(١) كهف مفرد في المنحدرات شكل الحافة اليمنى للنهر اسفل منطقة رسونا الحالية.

واندفاع في تيار النهر إلى اسفل لمساحة معتبرة قبل ان ندير رأس المركب إذ لم نستطع الوصول إلى المكان الذي بدأنا فيه حتى الساعة السادسة وخمس واربعين دقيقة، المرساة. وجدنا أيضا في رفعها إلى الأعلى بانها ناقصة لعارضة المرساة. أرسلنا الزوارق مع مجموعة من الرجال البارعين لتعقب العارضة ورفعها عندما يتقدم المركب في المنحدر، إذ من المحتمل ان يكون هناك حالة هدوء محتملة او مقبولة. واصلنا العمل حتى نقطة الجرف العالي للمنحدر الصخري في الجانب الغربي للنهر وتدعى "عبد الكريم"[1] من نسل امام قديم، تقف الآن الخرائب على قمتها. سحبنا المركب جنبا إلى جنب الضفة لننتظر القوارب التي جاءت خلال المدخل او الخليج الصغير. راقبنا مجموعة من خيالة "شمَّر" تتجه نحو القوارب، ارسلنا مفرزة مسلحين لتحول دون تحرشاتهم لمتعقبي اثر عارضة المرساة اثناء انسحابهم، وصلت القوارب المركب الساعة التاسعة وعشرين دقيقة واطفأت محركاتها. ارتفع النهر ١٦ انجاً بين الغروب واول ضوء النهار، مسببا سرعة اعظم في الجريان. انها في هذا الجوار تقسم النهر إلى

---

(١) هذا مكان الدفن لابن الامام موسى الكاظم-الامام السابع من الائمة- الاثني عشر الذين يبجلون من الشيعة، لقد ولد سنة ١٢٨ هـ وقد دس له السم في بغداد، بامر- كما قيل-من هارون الرشيد، دفن في قرية الكاظمين على الضفة اليمنى لدجلة، ثلاثة اميال فوق بغداد، والفرس بنوا جامعا ضخما على بقاياه من القبب المغلفة بالذهب المطروق: كتاب/ ج "كوردستان ونينوى" "الملاحظة ص١٤٤ المجلد الثاني، "P.144.vol.ii"

عدة قنوات وجزر محرجة بشكل كبير.

في الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة وصلنا "الگبه"في الضفة اليسرى بالقرب من تلة عالية[1] في السهل، واول بستان لأشجار الطرفاء يلتقيك إلى الشمال من "بغداد"، خشبنا يودع هنا. أكملنا التزود بالخشب الساعة الثانية بعد الظهر ثم واصلنا سيرنا، تكون القنوات متعرجة جدا إلى قلعة "ابو ريّاش".

في الساعة الرابعة بعد الظهر، ظهرت القلعة إلى الغرب، انها بقايا مسيجة على المنحدرات مع سهل جميل، والحاوي"Hawi" يمتد جنوبا إلى الامام من مخيم كبير لشمر. يحتل الآن المخيم هذا السهل المهيب جدا، انهم من جماعة "نجرس" وهم قوة معتبرة. "نجرس" هو اسم الشيخ. في الحقيقة ان حافة النهر من "تكريت" إلى "خان خرنينة" هو الان ملئ بالبشر من "شمَّر"، وكل الاتصالات بين "تكريت" و"الموصل" نتيجتها الايقاف. ان لديهم قطعانا كبيرة من الجمال والخرفان والتي

---

(١) هذه التلة من بقايا العصور القديمة العظيمة، وبالرغم من ان اسمها يعني بالعربية "حجرة" "Chamber"او هيكل "Temple"، اعتقد ان من المحتمل ان تكون متطابقه مع بعض المواقع المندثرة، انا لااملك الوقت ولا المعرفة لهكذا بحث. كانت التلة قد كشفت وانها بلا شك قد اظهرت بعض الاثار الممتعة. يكون موقعها حوالي شمال إلى غرب "تكريت" وهي تقع في الدرجات " ٤٧ – ٣٤َ N " جنوبا او احد عشر ميلا جغرافيا تبعد عن المدينة.

تشاهد وهي ترعى مع جيادهم الجميلة في هذا السهل الغني، وتجدهم يسكنون هنا وهناك بخيمهم السود، ويعكسون صورة تبعث على البهجة عن الحياة الرعوية، وليست تلكم الشخصية العشائرية الحزينة المتقلبة ذات العادات القديمة.

في الساعة السادسة بعد الظهر اوقفنا المركب للمبيت في الضفة الشرقية. كل تقدمنا لهذا اليوم، كما استنتجنا من خط العرض الذي حصلنا عليه من مرتفعات دوبه"Dubhe" ٤٩ - ٤٣ - ٣٤°" كانت فقط " ٧ - ٥١ " إلى الامام شمالا. ارتفع النهر ٣ أنجات خلال الليل.

الثاني عشر من مايس: تركنا المكان في السادسة بعد الظهر وكافحنا بصعوبة ضد تيار النهر حتى التاسعة، حيث كنا نقاوم بشدة، ان التقدم بهذا الشكل لم يكن يتجاوز بقعة مسافتها مئة قدم، وقد استغرقتنا حتى الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة، لقد كانت نصرا في اخر الامر ساعدتنا عليه الريح الجنوبية التي هبت عاليا. ومكنتنا من الانحدار لنستقر، وارسلت زوارقنا باتجاه الشاطيء.

الساعة الثانية عشرة وثلاثين دقيقة مررنا بخرائب خان يدعى "خرنينه"[1]، يقع أسفل المنحدرات في الجانب الغربي للوادي، تنفرج

---

(١) كرفان سراي، الان هي خرائب، انه يقف على أعلى الطريق إلى "الموصل"، وكان خانا مالوفا عندما كانت القوافل تسلك الطريق بواسطة الجزيرة، ان التشجيع على العنف ونمو القوة للعرب جعلت من هذا الطريق غير امن، وجعلت منه مهجورا.

هذه المنحدرات الآن بشكل معتبر أكثر إلى الأمام باتجاه الغرب، بينما تلك تشكل الحد الشرقي لوادي دجلة متجهة أكثر إلى الشرق، تاركة زوايا حادة في "خرنينة" في الغرب، وفي نقطة تدعى "لگلگ" "لقلق" في الشرق مباشرة . تشاهد إلى الشمال من لقلق، بحوالي ثلاثة اميال بقايا نهر هافو "Nahr Hafu" او الفرع الأعلى "للنهروان"، يقال بانه ينقل ماء دجلة تحت المنحدرات خلال انفاق، إلى الفرع الرئيس "القنطرة الرصاص"، تقع قناة أُخرى صغيرة او جدول زهاء ميلين جنوب النقطة ذاتها من نقاط التفرع. ينفتح الوصف اعلاه على الريف أكثر و تكون التموجات اخف انحدارا إلى حافات سلسلة "جبال حمرين"، يكون النهر أكثر تعرجا من "خان خرنينه" وينقسم على مختلف الجزر الجميلة والمغطاة بكل صنف من الحشائش البرية، كذلك أشجار الطرفاء، والجوز. بلغت بعض الأشجار التي ذكرت اخيرا حجما معتبرا لتصبح مصدر رزق غير ثابت لسكان "تكريت"، الذين ينقلونها بالطوف إلى بغداد او لتباع هناك.

بعد ان نترك "خرنينه" تصبح رحلتنا اسرع قليلا، حيث واتتنا ريح جنوبية جميلة وقد استمرت إلى الغروب، عندما قررنا بسرعة المكوث في احدى الجزر لتلك الليلة.

على نحو ثلاثة اميال أعلى "الفتحة" عندما يشق دجلة طريقه خلال التلال، كان خط العرض في الرصد هنا "٣٤ – ٥٦ – ٥٧" و إلى الشمال

من مصب "النهروان" الذي يشق طريقه شمال شرق، ويبعد ميلا واحدا. ان استمرار "حمرين" إلى الجانب الشرقي لدجلة، يحادد جبل "مكحول" و ينتهي الآن عنده، ويسلك شمالا وشمال غرب و١/ ٢ غرب. ان السلسلة الشرقية او حدود "جبال حمرين"، يطول من أعلى قليلا من هذه النقطة إلى الجنوب الشرقي، وكميات غير متناسبة من الهضبات القاحلة، مؤلفه من الحجر الرملي والحصى، بدون ورقة نبات نامية. كل منطقتي "حمرين" وجبل "مكحول" تتشابهان بالتكوين ومن المحتمل ان يقدر ارتفاعهما بحوالي ٥٠٠ قدم في هذه المنطقة، ولهذا السبب فخط العرض يزداد كلما تقدمنا إلى الجنوب الشرقي. السهل الغني في قاعدتيهما في منطقة تضاد مسره مع قمتيهما المقفرتين.

انخفض النهر خلال الليل ٦ أنجات، والثيرموميتر على درجة "٨٥° إلى ٥٠°" في الظل.

الثالث عشر من نيسان، تركنا المكان في الساعة الخامسة وخمس واربعين دقيقة، ولم تتحسن الحالة كما في الامس مع الريح الجنوبية، تقدمنا ببطئ إلى غابة "خشبنا" التي وصلناها في الساعة السابعة صباحا. لقد قطعت من بستان طرفاء صغير إلى أعلى مصب "نهر هافو" وقد غطيت بفروع لكي لاتحرق من قبل الأعراب.

بقينا هنا لنتزود بالخشب ونبعث الاجوبة على رسائل وصلت منذ لحظات من "بغداد"، حتى الساعة التاسعة وثلاثين دقيقة. تقدمنا

بشكل منعش في هذا الوقت ولكن كما توقعت، عندما استلمنا وقودنا مع قليل من النجاح او حتى بدون نجاح، كافحنا ضد التيار الذي يتدفق هنا خلال التلال بقوة كبيرة حتى الساعة الحادية عشرة وعشرون دقيقة، عندما اكرهنا على التوقف التام بدون أي امل ان نكمل عملنا، وواضعين في الاعتبار بان نجاحنا حتى الان كان بشكل رئيسي تعزى نسبته إلى الرياح الجنوبية الشرقية والذي اعاقنا أكثر من ذلك هو الطبيعة القاسية التي واجهتنا وكانت تنتظرنا، إلى جانب المجازفة التي تبعدنا من الاستقرار على الارض والاحتجاز الاضطراري وهل سينخفض الماء بعد ارتفاع النهر إلى هذا الحد الذي هو عليه، لقد عقدت العزم على مضض ان نعيد خطواتنا إلى "بغداد" ووفقا لذلك ادرت مقبض الدفه إلى الأعلى.

انقضت آخر أيام الرحلة في ريف غني يعج بالنباتات البرية وتقريبا من كل ما يوصف. انحدارات متموجة من الاخضر الزمردي مع زهور من كل لون تنتشر امام العين تشبه البساط النفيس، في أي استداره للنهر ولاتحتاج إلى أي شئ عدى يد رجل لتقلب الأرض عن هبات الطبيعة الوافرة لتستفيد منها، ولكن كل هذه المساحات الواسعة مقفرة. الصمت متواصل عدى مايحدثه اندفاع السيل الجارف الذي ينحت المنحدرات الصخرية بمرور الزمن، او صوت البوم الصيّاح، الذي أيقظته من نومه خفقات دولاب او عجلات التجديف المتكررة.

عندما مر "مستر رج" بهذه المنطقة قبل نحو عشرين سنة مضت، كان كل شيء نشطا وفعالا، كانت القبائل العربية تقيم على ضفاف النهر وعلى الجزر الجميلة، مترفين بملابسهم الربيعية، مشكلين اقامتهم بأدوات حراثتهم السلمية، ان "شمَّر" قساة القلوب حلوا هناك بعد ذلك وبسبب ضعف الحكومة نشروا الخراب والدمار اينما نصبوا خيمهم. لقد ضعفوا بسبب الطاعون الذي هاجم المنطقة بعنف سنة ١٨٣١ . ان التشكيلة السكانية"سكان البلد" اجبروا على الحرب إلى مناطق أكثر اطمئنانا في المناطق المجاورة "لكركوك".

ان السرعة التي نتقدم بها الان بعد كفاحنا الصعب في الأعلى ظهرت في كسبنا لقوة دافعة منعشة في كل ميل، الصخور والجزر والشواطئ الصخرية شديدة الانحدار والضفاف المكسوة بالحصى كلها ساعدت بعضها البعض في النجاح. وصلت الماشية والخيام والرجال في ساعة واحدة و تحول الصمت الذي كان مسيطرا البارحة إلى ضجة ونشاط وطبيعة مفعمة بالحيوية.

مرت الاماكن التالية بأوقات فيها خصوصية أي ان العكس هو الذي واجهوه وكانت كذلك بالنسبة لهم.

"خان خرنينه" في الساعة صفر واثنين وخمسين دقيقة: مكان الرسو في مساء الحادي عشر من نيسان: الساعة الواحدة وخمس عشرة دقيقة. و"خان خرنينه" في الساعة الواحدة وثلاثين دقيقة. وصلنا "تكريت" في

الساعة الثالثة وعشرين دقيقة بعد الظهر. وهكذا انجزنا انحدارنا في الساعة الثالثة وخمسين دقيقة وهي المسافة التي شغلتنا لمدة ثلاث عشرة ساعة من السير في مرحلة نحو الأعلى بين منطقة "عبد الكريم" و"قلعة الريّاش"، يصب نهر صغير او جدول ماءه في "دجلة" في الضفة اليسرى، هذا النهر يسمى "نهر الملحة" "Milha" ويقال بان حجمه يكون جديرا بالاعتبار خلال اشهر الشتاء، عندما يزداد بموجب انصباب السيول من سلسلة "جبال حمرين" فيه.

الرابع عشر من نيسان: وصلنا "سامراء"[1] في الساعة التاسعة وتسع دقائق قبل الظهر. مكثنا هنا خلال اليوم لعمل الترتيبات المتعلقة بارسال الوقود الفائض إلى بغداد بواسطة الطوف. في المساء زرنا الملوية. من قمتها حصلت على الحقيقة التالية التي اكتشفتها كاستنتاج من المغناطيس بواسطة القمباص الموشوري "البوصلة":-المنارة او ضريح "الامام محمد دور" في منطقة "الدور" "٤٥ - ٣٤٢°" "خان ثولايه" "٣٠ - ١١٩°" "خان المزرقجي" "١٣٢°" "القائم"، برج في المدخل للفرع الجنوبي "للنهروان" "٣٠ - ١٦٥°" "خرائب قصر العاشق" في الضفة اليمنى المعاكسة "٣٠ - ٢٩٩°"، "تل البنات" قرب "الدور" "٣٠ - ٣٤٥°"، "تل العليج" "٣٠ - ١٨°"، القصر القديم "٠٠ -

---

(١) بواسطة الارصاد الجيدة لخطوط العرض وخطوط الطول فقد وجدت بان "سامراء" تقع على الدرجات، " 33 - 11 - 34°" شمالا و " 32 " بالغرب من "بغداد".

١٤٣"، "القادسية" قلعة قديمة: تمتد من "١٤٧°" إلى "١٥٧°" "مدينة الاصطبلات" "١٦٧°" انحراف الابرة "٥٥ - ٢°" غربا.

الخامس عشر من نيسان: تركنا "سامراء" الساعة السادسة واحدى وعشرين دقيقة وانحدرنا إلى اسفل النهر ضد تيار من الرياح الجنوبية القوية والتي واجهناها بشكل معاكس. رفعت مياه دجلة إلى علو كبير. مررنا "بالقادسية" في الساعة السابعة وخمس وعشرين دقيقة، "خان مزرقجي" الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة، "خان ثولاية" الساعة التاسعة وثلاث دقائق "مصب نهر العظيم" الساعة العاشرة، "السندية" والتي وقفنا فيها للتزود بالوقود في الساعة الحادية عشرة واثنتين وخمسين دقيقة، "قرية الجديدة" في الساعة الثالثة وسبع دقائق بعد الظهر، ورسونا بالقرب من "حدائق الطرمبه" "المكينه" في هدير صاخب من الريح والرعد والبَرَد والمطر في الساعة السادسة وعشرين دقيقة. في الصباح التالي كنا في مرسانا القديم في "بغداد"، بعد مرورنا خلال جسر المراكب "جسر الدوب" من خلال هذه الملاحظات سوف نرى بان الرحلة إلى الشمال ضد التيار تستغرق ست وثمانين ساعة ونصف بمركب يسير بقوة البخار الدافعة في حين كان التقدم ينجز في مثل هذا الفضاء القصير بحوالي تسع عشرة ساعة.

انا آسف كثيرا على انتهاء رحلتنا لانني داهنت نفسي بانني لاثبت فائدتي في وعيي الجغرافي فقط ولكن ايضا في امرين هما الثقافة والتسلية.

لقد فكرت، لعل من الممكن ان اصل إلى المناطق المجاورة "للموصل"، زيارة لتلك المدينة واثارها القريبة لعواصم "الآشوريين" في "نينوى"، "خرسباد"، و"نمرود"[1] فضلا عن لحظة استنطاق لآثار "الحضر"

---

(١) تل ترابي كبير وقديم، وقد اعتقدت اولا بانه وصف من قبل "مستر رج" في كتابه "كردستان ونينوى"لقد ماثلها مع "لاريسا" – "زينافون" "Xenophon"(منطقة تابعة للاغريق القديمة ٤٥٠-٤٣١ قبل الميلاد) يقول العالم "بوجاردت" "Bochardt"في اشارته إلى هذه المنطقة بعدم احتمال ان تكون هذه المدينة وبمثل هذا الاسم موجودة في هذا القسم من العالم وسابقه لفتوحات الاسكندر وهو لهذا السبب حدس بان هذه العاصمة ذكرت من قبل "Moses" "موسيس" في "Gen.X.12"وتصور الاسم "لاريسا" "Larissa"بانه استعمل من قبل "زينوفون"، ليس فقط لقرب الاغريق إلى هذا الاسم الخاص او الغريب ولكن من شبهه إلى المدينة "لاريسن" اليهودية التابعة إلى "ريسن" "Resen"والتي من دون شك عُدت محرفه من "لاريسا"، لقد استنتج بالملاحظة بانه من السهولة ان تتصور كيف ان هذه الكلمة"لاريسن"من الممكن ان تخفف من قبل الاغريق في النهاية.
أعلن "مستر فريزر" في مؤلفه "بلاد مابين النهرين والاشوريين" انها تعرف بلقب "الآثور" او "آشور" ومن هذا نعرف بان كل المدن اشتقت اسماؤها. يصبح هذا وكانه احتمال وبان هذا الاحتمال من الممكن ان يكون بعصورها القديمة العظيمة.
بالنسبة للمغامر المقدام، المتقد الذهن الرحالة الباكتوجاري "Baktujari"مستر "لايارد"، رجع اخيرا في نوفمبر وقد نجح في ان يكتشف بجهد قليل عينات من اللقى الجميلة، المثالية، في تضاريس عالية والواح كبيرة مغطاة بالكتابة الاشورية المسمارية انه الان يعمل بشكل فعال في الحفريات الاثارية بشكل واسع منذ ان حصل على الفرمان من الباب العالي، وقد اعلمت بانه حقق بمكتشفاته توهجا اثريا كان يتوق اليه. في الحقيقة، ظهرت نمرود وكانها لاتنضب.

المتعة.

وقد وصفت كتابةً ورسما بواسطة صديقي "د.روس"، شعرت بخيبة الامل أكثر، كما انني الان صرفت ست سنوات في هذا البلد ولم

من المحتمل ان تكون اول حمولة للمستر "لايارد" من الذخائر"، قبل وصوله إلى "بغداد" ومن ثمَّ بعيدا على طريقه إلى "انكلترا"، وما يتمناه المرء هو فيما اذا كانت الحكومة تاخذ على عاتقها ايضا الحفر في هذه التلول الترابية الممتعة، ذلك ان بعضا من عامة الناس سوف يقدم مساعيه ليسهل على "مستر لايارد" الكثير من الأعمال التي يبحث بها، وهكذا فقد استطاع "بهذه المساعدات" ايصال الحمولة "المكتشفات" إلى انكلترا بشكل اكيد ومضمون ككنز ثمين من اللقى الأثرية الفريدة من نوعها والتي ستمنحنا بقدرة فائقة موضوعا للتحقيق علاوة على البحوث التي تؤدي إلى حقل اكبر فتح لنا الآن في "بلاد مابين النهرين"، و من دون شك ستفضي إلى توضيح، واخيرا سطوع اللمحات القليلة التي ادت بنا حتى الان إلى صفحات سوداء من التاريخ القديم.

الذهن المتقد الذي لايكل للمستر "راولنسن"، كما اعتقد، هو اول من اوحى بفكرة الحفر في هذا الموقع، والاثاريون من مجموعات اوربا ليسوا فقط مدينين له انما للسير "ستاتفورد كابننك" "H.B.M'S" السفير في القسطنطينية ايضا، فضلا عن فتحه التل الترابي، تعهد أيضا بكرم نادرا ما تلتقي به، لتقديم-من ماله الخاص-الاعتماد المالي الضروري لتسهيل العمليات في قشرة الأرض الواسعة. جهوده المتواصلة مع الوزراء في القسطنطينيه، من اجل الحصول على "الفرمان" "القرار" بالحق في الاستكشاف في الأراضي التركية، فضلا عن الجهود التي بذلها "مستر لايارد" والتي تستحق العرفان بالجميل من الجمهور الانكليزي لجنابه، لولا تلكم الجهود لبقيت مجرد خرائب اثار، والان على الحكومة ان تستمر بما بدأ به هذا الإنسان الكريم.

احصل على فرصة مناسبة. واجباتي لم تسمح لي لاغيب عن المركب لوقت اطول، كأن أقوم برحلة برية من بغداد. ان الإخفاق في هذه المحاولة لايعزى إلى أي عقبة قاسية واجهتنا في ملاحتنا لاعالي دجلة بالنسبة لمركب يمتلك قوة دفع مثل هذه تراه الان يجري بسرعة في نهر التايمز بمعدل سرعة حوالي عشرة عقدة في الساعة، هكذا مصاعب كالتي خبرتها باخرتنا "ناتيو كريس" "Nitocris"[1] والتي اعتبرت اهميتها ثانوية. النايتوكريس -في الحقيقة- تحت أكثر الظروف المواتية للماء المنخفض لم تستطع ان تتجاوز السرعة لثماني عقد في الساعة إذ إن لها عجلة قطرها اثنى عشر قدما فقط، ومجذاف قصير طوله نحو ٣٠ أنجا، ولا نتوقع منها أكثر، بواسطة بعض الحسابات الخاطئة من المصممين للمركب، هذا القطر ذي الاثني عشر قدما ايضا منخفض إلى احد عشر قدما- ٤ انجات، من كونه يجبر على ذلك بسبب ثنيه مجذاف- المنصات العائمة، كما عندما ينفذ برفعه إلى الأعلى. كما في محيط العجلة، أثبتت التجربة انها اقل تاثيرا من وضعيتها الحالية، تكون المكائن في الواقع، اما توضع منخفضة كثيرا في اسفل المركب او في البداية. بدن السفينة يجب

---

(١) "Nitocrie" اسم المركب هذا ماخوذ من اسم لعدة اميرات في العصور القديمة والتي صمد اثنان للتسجيل التاريخي. نايتوكريس بابل، حكمت تلكم المدينة حسبما يتفق ذلك مع المؤرخ هيرودتس (١٨٧ - ١٨٥ : ١) خمسة اجيال بعد "سمير اميس" وكانت مسؤولة عن عدة أعمال فذة بالهندسة المدنية: للمزيد من المعلومات راجع THE. ENC. AME. Vol-20-p379 "المترجم"

ان يدفع ماء أكثر مما في الأعلى..

انها حقيقة ذلك ان الفرات كان قد حسن وضع الملاحة فيه تحت امرة الكولونيل "جيسني" الذي تقدم إلى أعلى نقطة عندما امر من "كابتن لنج"، ولكن بكل احترام كانت مركبا متقدما، ولهذا كانت تدفع مياها أكثر قليلا من "نايتوكريس" وكان يحمل مجذافها عموداً على درجة عالية من القيمة على ظهرها، ولهذا السبب اعطيت قطرا للعجلة بما يعادل مرة وثلث أكثر، وللاسباب اعلاه يجب ان يعزى عدم تمكن "النايتوكريس" مواصلة التقدم إلى أعلى دجلة.

وكما قلت سابقا تحت افضل الظروف (بدون اما وقود او مؤن) بسرعتها سوف لن تتجاوز الثمان عقد في الساعة، ان فشل المركب في الاستمرار ضد تيار النهر بسته ونصف ميل جغرافي بالساعة مع اخطاء عرضية لايبعث على التعجب في الحين الذي حملت فيه بمؤن لأكثر من شهر وثمانية عشر طنا من الوقود، فضلا عن الأسلحة والاعتدة ورجال اضافيين عدا رجال الحملة الحالية.

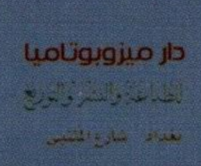
عندما تركت "بغداد" -كما تمنيت- لم أكن أعجل في توقع النجاح، لهذا السبب لم اشعر كثيرا بالخيبة. في كل الحوادث كنا نهيئ أنفسنا على التقدم إلى "حمرين"، حيث رسمنا لخطة الرحلة التي كانت تتضمن الأهداف نفسها في الرؤية، الا اننا انتهينا في "الدور" لعدم كفاية الماء.

المجريـات في هــذه الملاحظـات حقيقيــة، باسـتثناء مـا يـشار لـه خصوصا بواسطة القمباص "البوصلة" وقد كان الاعتبار من الشمال إلى اليمين حيث كان الشرق ٩٠°:جنوباً ١٨٠°، غربا ٢٧٠°، وشمالا ٣٦٠°.

رحلة بالباخرة - يوميات عن رحلة بالباخرة إلى شمالي بغداد انجزت في نيسان 1846، في الباخرة الحديدية "نايتوكريس" "Nitocris" التابعه لشركة الهند الشرقية الشهيرة، بواسطة قائدها جيمس فيلكس جونز .آي.أن.

مع ملاحظات في مختلف المواضيع التي واجهها في الطريق الممتع. سلمت إلى الحكومة في الخامس من تشرين الثاني "نوفمبر" 1846.







طبع على نفقة
وزارة الثقافة العراقية
بمناسبة بغداد عاصمة
الثقافة العربية 2013